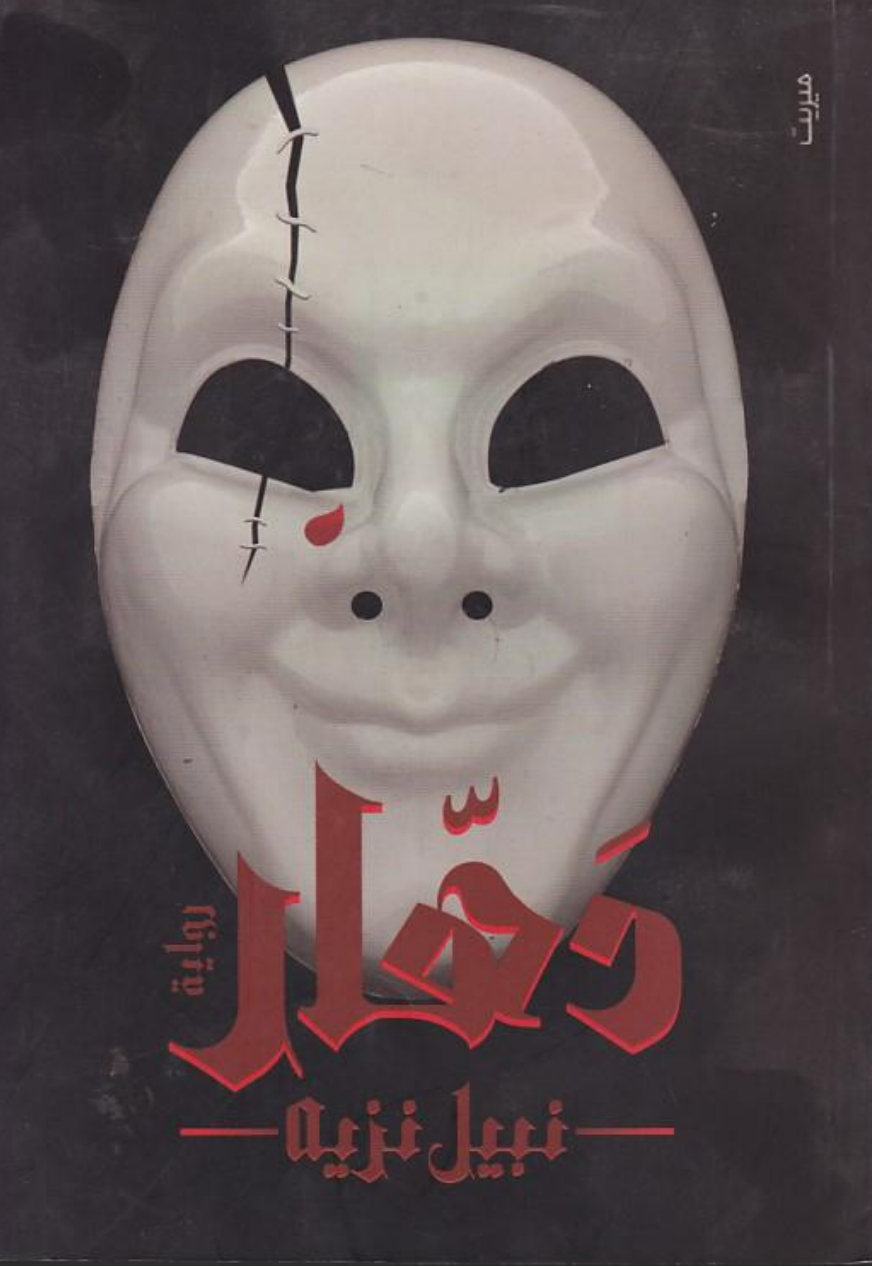
بيروت
رواية
دَمّار
نبيل نزيه

# دھار

**دهار**

**رواية**

**نبيل نزيه**

الطبعة الأولى 2016.

(c) دار ميريت

6 (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: 5797710 (202)

www.darmerit.org

merit56@hotmail.com

الغلاف:

المدير العام: **محمد هاشم**

رقم الإيداع: **2016/2871**

الترقيم الدولي: **978-977-351-766-3**

نبيل نزيه

# دهار

لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل اعطوا مكانا للغضب، لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير.

الكتاب المقدس

-1-

## اليوم الأول

آخر ما تتذكره لينا الصريطي أنها كانت تدخن سيجارة، وهى تقود سيارتها، دون هدى، في الساعة الثانية من فجر يوم شتوي، كان هذا قبل أن تفقد إحساسها بالزمان والمكان، قبل أن تكتشف أن الجحيم مكسو بلون أبيض.

فتحت عينيها بصعوبة لتجد أن هذا اللون الملائكي يحيط بها من كل الجوانب. ظنت أن روحها عبرت ذلك النفق الطويل، ووصلت أخيراً إلى مكان الانتظار، لكن ألماً شديداً ضرب جسدها فجأة، فاستفاقت لتجدضوءاً أبيض يضيء الغرفة ذات الجدران البيضاء(1). كانت غرفة بلا أبواب، ولا نوافذ، ولا يوجد بها سوى مرحاض تتدفق فيه المياه، محدثة خريراً رتيباً، وكذلك حوض بحنفية بيضاء، وكأن الغرفة عبارة عن مرحاض كبير.

تحاملت على عضلاتها الواهنة لتقف، وميزت أنها ترتدي جلباباً أبيض بلا ملابس داخلية، لكن صوت ضحكة شيطانية تردد في أرجاء المكان طارحاً إياها أرضاً.

- مش هاقتلك.

أخذت تتفقد الغرفة بعينين مدهوشتين، وقلب يخفق بشدة، وكأنه يبتغي القفز خارج قفصها الصدري، وعاد الصوت المجنون:

- روحك هتنضف، الخلاص هو مصيرك، الخلاص من الألم والخوف، هتتمني متكونيش اتولدتي... بس بعد كده، بعد ما تدفعي التمن هتكوني اتطهرتي...

خسرتي كل حاجة... حتى نفسك... وهتطلعي من هنا شخص تاني.

وعادت ضحكات جنونية ترج المكان من حولها، فيما وقفت لينا، وأخذت تدور حول نفسها في محاولة بائسة لتحديد مصدر الصوت، وأخذت تصرخ:

- انت مين؟... أنا عملتلك إيه؟... عايزة أخرج من هنا.

لكنها لم تتلق جواباً، فعادت تجوب أرجاء الغرفة، وهى تقرع الحوائط بكلتا يديها، وببطء أخذت قواها تخور، وفي لحظة خانها جسدها، وسقطت بجوار أحد الحوائط، وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

-2-

سوزان عبد الحكيم، امرأة في الثانية والثلاثين من عمرها، وجهها آية في الجمال، ذات عينين خضراوين، وأنف دقيق، أما شعرها فأسود فاحم ورغم نعومته، إلا أنه لا يتعدى رقبتها، أما جسدها فرشيق، بالرغم من أنها توقفت عن ممارسة الرياضة، منذ سنوات طويلة، وكما تمتلك جمالاً أخاذاً، تمتلك أيضاً ثراء عائلتها، ورزقت بنعمة الأمومة من زوجها شهاب المطيعي، وهو لا يقل عنها ثراء.

يعيش الزوجان في فيلا بحي الدقي، فيلا أنيقة تحيط بها حديقة غناء يرعى فيها كلب جريفون صغير، وهو مربوط بجوار بيته الخشبي الصغير، أغلب الوقت، منذ ميلاد الطفل، وآثرت سوزان أن تقوم بكل أعمال المنزل وحدها، ولا تستعين بخادمة، سوى يوم واحد في الأسبوع، لتساعدها في تنظيف الفيلا المكونة من طابقين.

حياة بديعة، تستحق أن تحسد عليها، لكن لا يوجد كمال في دنيا الإنسان، فالأرض ملعونة بسبب آدم، وهاهي تنبت لها حسكاً وشوكاً بين الورود، متمثلة في شكوكها حول خيانة زوجها المحب، وكذلك في كابوس غريب يراودها من حين لآخر، تزورها فيها صديقة قديمة توفيت أمامها من حقنة مخدر over dose.

في حديقة منزلهما، جلست سوزان أمام زوجها شهاب المطيعي، كانا يبدوان كزوجين سعيدين، يتجاذبان أطراف حديث صباحي خفيف بدأه شهاب ساخراً:

- القطة اللي مربياها ديه قاعدة تهوهو، شكلها في موسم التزاوج.

ضحكت سوزان برقة:

- متقولش كده على باتشي حبيبي!
- وكمان بقا حبيبك! الكلب بقا حبيبك؟
- محبة أخوية!
- أنا نفسي نربي بيتبول ولا جيرمان، حاجة كدة أمشي معاها من غير ما اتكسف!
- انت مستأل بباتشي، هوّ أينعم صغير بس أسد!
- أسد! أمال أنا إيه؟
- دب قطبي يا حبيبي!
- حاسس إنك في يوم هتزهقي من شخيري وتروحي تقولي في المحكمة: "أخاف ألا أقيم حدود الله!"

واقترب شهاب منها مداعباً، فيما تمنعت هى بدلال خفيف:

- عيب كده، احنا في الجنينة، الناس تشوفنا!
- ما تيجي يا جميل...
- بلاش دلع، يالا على الشغل!

حين أتت سيرة العمل، تغير حال شهاب، وتراجع قليلاً،وما لبث أن قام من مجلسه، ناظراً في ساعته، قاطعاً الحديث.

أدركت سوزان، أنها بذكرها سيرة العمل، أعادت شهاب فجأة إلى واقع يحاول أن ينساه، أو أن يتناساه أغلب الوقت، وأخذت تراقب الوجوم يرتسم على وجهه في صمت وهو يغادر.

بعدما انصرف شهاب، أخذت سوزان تزاول نشاطاتها اليومية في البيت، من تنظيف وطبخ، وغيرهما من نشاطات ربات

المنازل، وبالطبع من حين لآخر كانت تلقي نظرة على ابنها الوحيد طارق، الذي ولد منذ عدة أشهر.
كانت تستخدم walkie-talkie معلق دائماً في خصرها لتسمع بكاء وليدها، وتذهب إليه إذا بدا غير مرتاح، وكان الطفل هادئاً أغلب الوقت، لكن، وبينما هى تعد العدة لتجهيز الغذاء، فوجئت بصوت بكاء غريب يخرج من الجهاز، فتركت ما بيدها، وأخذت تعدو قافزة على الدرج في طريقها لغرفة المولود.
في الغرفة بدا كل شيء طبيعياً، عدا طفلها، الذي وجدت مكانه كيس زبالة أسود مربوط بأفيز بلاستيكي يتحرك بعصبية على مهده. في أقل من ثانية كانت تشق الكيس بأظافرها لتجد الطفل بداخله، فحضنته بشدة، وتفحصته جيداً، بينما هو يصرخ، ويتحرك منتفضاً ضارباً صدرها ووجهها.
بعد برهة بدأ الطفل يستكين بصعوبة، فاستمرت في هدهدته، لكنها لاحظت أنه يتدلى من الكيس الأسود، الذي ما يزال موجوداً على المهد، علبة سوداء أصغر حجماً من خرطوشة سجائر، ملفوفة برباط أحمر، وكأنها هدية.
تمالكت نفسها، ووضعت الطفل على كرسي كبير، وتوجهت إلى العلبة تتفحصها في حذر، بينما الرضيع بدأ في الصراخ مرة أخرى.

-3-

في مكتبه الأنيق بشركة المقاولات الهندسية، التي ورثها عن أبيه، جلس شهاب المطيعي يطالع بعض الأوراق بتوتر، ويدخن بعصبية، وهو يحتسي القهوة، منذ أن توفى أبيه، من ثلاث سنوات، فكر كثيراً في تصفية هذه الشركة، والاكتفاء بثروته في البنك، لكن أمه وعائلته حالوا دون تحقيق فكرته. لم يكن يحب الهندسة، التي أجبر على دراستها في الجامعة الأمريكية، وبدأت المصائب تتوالى على رأسه، منذ أن أصبح مديراً للشركة، إذ تزامنت وفاة أبيه مع ثورة الخامس والعشرين من يناير، وبدأ يدخل في صراعات لا قبل له بها، فخسر الكثير من المال، ومن الموظفين الأكفاء، الذين استهانوا به، وأصبح كمن يقود مركباً تمزقت أشرعته في محيط هائج الأمواج لا تشرق عليه شمس.

اقترض من عائلته، ومن أصدقائه المقربين، فأخذ مجتمعه يضيق، وتضيق عليه الحياة، وعبثاً حاول الاقتراض من زوجته، التي كانت تتهرب دائماً من إقراضه المال بحجج واهية. لم تكن سوزان بخيلة، لكنها كانت تشك في أن له علاقات مشبوهة، وفي لجوئه للمخدرات من حين لآخر، لكنها لم تستطع أن تثبت شكوكها أو تنفيها، وعزمت على أن تتدخل فقط في الوقت المناسب، ومن ناحيته قرر شهاب أن يحافظ على كرامته، وألا يعيد مطالبه مرة أخرى، وتجاهل خذلان زوجته، بالأخص بعد ميلاد ابنها طارق.

-4-

أول سؤال يسأله الطبيب النفسي للمريض هو: " النهاردة إيه؟"، والهدف من هذا السؤال هو التأكد من أن المريض على دراية بالزمن، ففقدان الإحساس بالزمن أحد أعراض الأمراض النفسية. ومن الأساليب، التي تستخدم في تعذيب السجناء، وإجبارهم على الاعتراف هو عزلهم عن حساب الزمن عن طريق وضعهم منفردين في زنزانة مظلمة تمنعهم من رؤية الشمس، وكذلك تقديم الطعام لهم في مواعيد غير منتظمة، وربما يضاف إلى هذا منع السجين من النوم عن طريق إصدار أصوات مزعجة. تلك الأساليب النفسية في التعذيب أكثر بشاعة من التعذيب الجسدي، وتؤثر في نفسية الإنسان مهما كان قوياً، فتخور قواه وعزيمته تدريجياً، ويبدأ في الهلوسة، ويسهل انتزاع الاعترافات منه، لكن الاستمرار لفترة طويلة في استخدام هذا النوع من التعذيب النفسي قد يؤدي إلى انهيارات نفسية مزمنة لا يمكن حلها، وغالباً يصاب السجين بهلاوس وهواجس تفقده السيطرة على نفسه ونسيانها إلى الأبد.

تعتبر الغرفة البيضاء من أبشع أساليب التعذيب، إذ يفقد المسجون فيها الاتصال بالعالم الخارجي، ويفقد القدرة على تحديد الزمن، أما اللون الأبيض، الذي يحيط به من كل الجهات، حتى في الطعام المتمثل في وجبات من الأرز تقدم على ورق أبيض، فيدفعه للانزلاق في هلاوس بسرعة أكبر بكثير من أي أسلوب اخر، فينهار نفسياً وجسدياً، دون أن يترك على جسده علامات تعذيب من أي نوع.

بالنسبة للينا الحبيسة في غرفة بيضاء، فهى لم تكن على دراية بما ينتظرها، وحاولت الحفاظ على رباطة جأشها، وعبثاً حاولت أن تجد باباً للغرفة، لكن الجدران من حولها كنت مصمتة، فحارت في كيفية دخولها لتلك الغرفة، وفجأة وجدت درجاً يفتح في الجدار المقابل للمرحاض والحوض، وبه وجبة أرز ساخن، لكنها عزفت عن أكله، وأخذت تصرخ، حتى أغلق الدرج بعد فترة من الزمن، وساد صمت رهيب لا يقطعه سوى خرير المياه، الذي يتدفق في المرحاض من حين لآخر.

-5-
بتوتر نزعت سوزان الرباط عن العلبة السوداء لتجد في العلبة ورقة A4 مطوية بعناية ومشرط جراحة حاد، جرح إبهامها وهى تتحسسه، أما الورقة ففردتها أمامها لتجد فيها رسالة مكتوبة على الكومبيوتر بالحبر الأسود:
"سوزان سوزان، متخافيش، الكيس كان مخرم، والولد ماكنش هيتخنق. بس أنا أقدر أدخل بيتك وأوصلك في أي وقت.
عندي ليكي خبر، انتي لازم تموتي، هتنتحري، أنا عارف انك حاولتي تنتحري كتير، لكن عارف برضه انها كانت بس محاولات عشان تجذبي الانتباه. أنا عارفك كويس، عارفك أكتر ما تعرفي نفسك، عارف حتى كابوسك...
وقررت أريحك من ده كله، يوم 20 فبراير اللي جاي،يعني بعد شهر بالظبط من دلوقتي، هاتستعملي المشرط ده عشان تقطعي شرايينك، هاتقطعيهم بالطول(2)، بعدين هاقولك هاتعملي كده فين. أنتِ ماعندكيش اختيار لأنك لو ماعملتيش كده هاقتل ابنك، وهاقتلك في الآخر. مش منطقي تبلغي البوليس، أو حتى تقولي لجوزك عشان مصلحة الولد طبعًا.... دهّار."
أعادت سوزان قراءة الرسالة عدة مرات، والمشرط يلمع في يدها، فيما رسم الدم السائل من ابهامها خطوطاً سريالية على الورقة، لكنها تجاهلت الألم، وبدت صرخات طفلها، وكأنها من عالم آخر بعيد، وأخيرا وضعت الرسالة والمشرط على طاولة، واتجهت لابنها، وحملته مهدهدةً إياه بحركة أوتوماتيكية.
وتوجهت به إلى هاتفها المحمول، وعزمت على الاتصال بصديق قديم.

-6-

لأسامة طنطاوي مظهر مهيب، فهو ضخم الجثة، ذو ملامح حادة، شعره أسود مصفف دوماً بعناية، ذو شارب أسود كث. يرتدي دائماً إما بنطالاً أسود وقميصاً ناصع البياض بأكمام مشمرة، حتى في البرد القارص، أو بذته العسكرية، فهو رائد في المباحث. يصغر سوزان بعام واحد، وهو من شلتها القديمة، وكان هو أول من فكرت أن تستعين به لحل الحادثة الغريبة، التي وقعت لها هذا الصباح.

بعد 45 دقيقة من اتصالها به، كان أسامة يطرق باب فيلتها، ففتحت له بسرعة بيدين مرتجفتين، فضمها بين ذراعيه القويين، وربت على ظهرها، فيما انفجرت في البكاء. جلسا متجاورين في صالة البيت الفسيحة، فقصت له ما حدث، وناولته العلبة، وبها المشرط، والرسالة فتناولهم بمنديل، وسألها عن الدماء على الرسالة، فرفعت إبهامها أمامه، وشرحت له كيف جرحته.

قرأ الرسالة عدة مرات بتمعن، وطلب منها أن يعاين غرفة الطفل، فلم يجد أي آثار لاقتحام البيت، وعاين أبواب البيت ونوافذه فوجد كل شيء سليماً، ثم عادا وجلسا في مكانهما السابق، وضمت ابنها إلى صدرها.

نظر إليها بعينين ثابتتين:

- أنا عايزك تهدي وتركزي عشان أعرف أساعدك، وأهم حاجة تكوني صريحة معايا، اتفقنا؟

أجابته مرتجفةً:

- حاضر.

- جوزك نزل من البيت النهاردة الساعة كام؟
- 8 بالظبط، زي كل يوم.
- مين بيخش البيت غيرك انتي وشهاب؟
- مفيش غير دادة سعاد، ومش معاها مفتاح للبيت.
- فيه أي حاجة غريبة حصلت الفترة اللي فاتت؟
- لأ.
- افتكري كويس، حتى لو معاكسات على التليفون.
- التليفون تقريباً ما بيرنش، مفيش غير ماما لما بتكلمني هى وأختي من أمريكا، انت عارف اني قطعت علاقتي بالشلة من زمان.
- شهاب له أعداء في الشغل؟
- ما اعرفش، بس ما يتهيألش، بس هو.
- هوّ إيه؟ كملي.

تنفست بتوتر، وهى تهز رأسها، ثم قالت:

- شهاب عنده مشاكل، ومديون.
- طلب منك مساعدة؟
- آه.
- وانتي ساعدتيه؟
- لأ.
- ليه؟
- لأني شاكة إنه بيخونّي، وخايفة يكون بيضرب. بس مهما كان لا يمكن يعمل كده في ابنه!
- في الرسالة مكتوب إنه يعرف عنك كل حاجة حتى الكابوس. مين يعرف عنك انك بتحلمي بكوابيس؟

- مفيش حد، يمكن شهاب خد باله مرة إني قمت مفزوعة لأن نومه تقيل.
- اللي كاتب الرسالة ماضي "دهّار"، الاسم ده له أي معنى عندك؟
- لأ خالص.
- غير شهاب، فيه حد ممكن تكوني شاكة فيه؟
- هوّ خلاص شهاب بقا متهم؟
- أنا اللي بسأل هنا بس.

هزت رأسها مرة أخرى فيما قدمها تتحرك صعوداً وهبوطاً في حركة عصبية:

- ماشي، يا حضرة الظابط، لأ، مفيش حد شاكة فيه.
- فيه أي معلومة ممكن تقوليهالي.
- مش عارفة.
- هو إيه موضوع الكابوس ده؟

زاد توتر سوزان، وأشاحت بوجهها عنه:

- لأ مفيش بس ساعات بحلم بإني بقع من مكان عالي.

كذبت، لكنه لم يلق بالاً للأمر، وأكمل:

- طيب أنا هاخد العلبة والرسالة والكيس والمشرط، وهرفع البصمات، وأشوف ممكن نوصل لإيه. أنا كمان هافتح محضر بس مش هامشي الموضوع رسمي، أنا بس اللي مسئول. انتي اتعاملي طبيعي خالص وماتقوليش حاجة لشهاب، اتفقنا؟
- هاحاول.

- مفيش هاحاول، هاتعملي اللي بقولك عليه، و هاعين مخبر حراسة.
- لا، بلاش، أنا خايفة، لأنه قال مبلغش.
- ما تخافيش مش هتلاحظيه، المخبرين مش زي اللي بتشوفيهم في الأفلام.
- بلاش، عشان خاطري.
- طيب لما نشوف المعمل الجنائي هايقول إيه، نشوف الخطوة اللي جاية.

-7-

في السنوات الأخيرة، استطاع مروان الطحان أن يشق طريقه نحو النجومية، فقد ساعده وجهه ذو الملامح الأجنبية، وجسده الرياضي مع خفة دمه أن يقفز من دور السنيد إلى دور البطل في السينما والتليفزيون. كان مروان فخوراً بنفسه، ليس فقط لأنه استطاع أن يصل إلى نجومية فشل أغلب زملاء دراسته في معهد السينما الوصول إليها، بل لأنه توقف عن تعاطي المخدرات منذ عدة سنوات، بل واستطاع أن يتوقف تماماً عن التدخين واحتساء الخمر.

لكن هذا لا يعني أنه لا يشارك في السهرات والحفلات الخاصة، هو يشارك ويستمتع ويرقص يومياً حتى مطلع الفجر، لكنه قرر أن يحافظ على جسده وصحته إلى حد الوسوسة، لكنه لم يصل أبداً إلى الكمال، فقد حل محل إدمان المخدرات، إدماناً من نوع آخر، فقد سيطر الجنس على حياته، وأصبح الجنس في المرتبة الثانية، بعد العمل، ولهذا لم تدم له زيجة أكثر من ستة أشهر، ولم ينجب من أي منها.

أما عن سبب إفراطه في الجنس، فيرجع إلى رفض سوزان عبد الحكيم له، بل وقطعها علاقتها به، وبشلتهما القديمة، بعد أن توقفت هى الأخرى عن تعاطي المخدرات، وفوجئ بخبر زواجها من شهاب المطيعي، ففلت عياره تماماً، ومن فرط انخراطه في حياة المجون، أصبح خبيراً بالمنشطات الجنسية يتناولها بلا حساب.

***

بعد أن غادر أسامة منزل سوزان بعدة دقائق، وجدها تتصل به على هاتفه المحمول، وتخبره بأنها تشك في مروان الطحان، بالرغم من أنها لم تتلق أي اتصال منه منذ زواجها.

-8-

حين عاد شهاب إلى المنزل كعادته في السادسة مساءً، لم تكن سوزان في استقباله بحضن دافئ، كما جرت العادة، بل كانت باردة تجاهه، وظهر عليها توتر شديد دفعه إلى أن يسألها عما بها، لكنها لم تشف قلقه، وتناولا الغذاء صامتين، فيما الطفل بجوارهما، تتفقده سوزان بقلق، وحاول شهاب أن يستفسر عن حال الطفل، فأجابته بنظرة مرتابة بأن الطفل كان قد تقيأ عدة مرات هذا الصباح، فأقنع نفسه بأن سبب حالتها الغريبة هو تقيؤ الطفل. وجلسا صامتين أمام التلفاز، حتى حان موعد النوم، ففوجئ بأن سوزان نقلت مهد الطفل إلى غرفتهما، ونام نوماً ثقيلاً، فيما عزفت عينا سوزان عن النوم، وقضت ليلتها ناظرة إلى الطفل بحسرة، مستمعة إلى مقطوعات مختارة من شخير زوجها.

***

مرت الليلة في بيت سوزان وشهاب على الأقل دون مفاجآت، لكن في شقته الكائنة في حي الزمالك، كان في انتظار مروان مفاجأة، فحين عاد إلى منزله قبيل الفجر بعد سهرة ماجنة، وجد ضيفاً غير متوقع يجلس على كرسيه المفضل في ال reception. ارتد مروان عدة خطوات إلى الخلف وقدشعر بانقباض في قلبه، لكن بسرعة استعاد توازنه، وقال للرائد أسامة:

- انت دخلت هنا ازاي؟

ابتسم بتنمر:

- من الباب!
- مش وقت تهريج، فيه إيه يا أسامة؟

قام أسامة من مجلسه، وقد تحولت الابتسامة الصفراء على وجهه إلى صرامة غاضبة، واتجه نحو مروان، فأخذ الأخير وضع الدفاع:

- ما تفتكرش إن الكام حركة الهبل، اللي تعرفهم هاينجوك مني، فوق يا مروان!
- انت بتتهجم عليّ في بيتي، أنا هطلبلك البوليس.

وهم مروان بإخراج هاتفه المحمول، فقال أسامة بسخرية:

- اطلب البوليس كده، وقولهم الرائد أسامة بيتهجم عليّ في شقتي وشوف رد فعلهم.
- أنا واصل، وممكن أدخلك السجن!
- اتلم يا روح امك.

في لحظة كان أسامة يمسك بكتفي مروان، ويدفعه لحائط مقارب:

- مالك ومال سوزان؟ إيه اللي انت عملته الصبح؟

ظهرت علامات الدهشة على مروان، الذي حاول عبثاً أن يتخلص من قبضتي أسامة، وقال له:

- Peace يا man، سوزان إيه، وصبح إيه؟ أنا بقالي سنين ما اعرفش حاجة عنها.
- انت هاتمثل ياض؟ عليّ برضه؟ صورها مغرقة درج مكتبك.

تدفق الدم في عروق مروان، وجز على أسنانه:

- وكمان فتشت شقتي؟ اوعى سيبني!
- ياض يخرب بيتك كل ديّه فياجرا؟ وكمان مستوردة خف على نفسك لتموت.

قالها، ودفع مروان ليتهاوى الأخير أرضاً:

- أنا هوديك في داهية، أنا عندي معارف أنا.
- برافو، وإيه كمان؟
- انت عايز مني إيه بالظبط؟
- عايزك تسيب سوزان في حالها. بدل ما وديني.

تحامل مروان على نفسه لينهض:

- أحلفلك بإيه إني ما اعرفش عنها حاجة من سنين؟ وبعدين سوزان ديّه حاجة من الماضي، أنا مش ناقصني نسوان.
- اتكلم عدل.

استمر الاثنان في جدال عنيف قرابة الساعة، وحين أدرك أسامة بحاسته كمحقق أن مروان لا علاقة له بالأمر، دفعه مكيلاً له الوعيد في طريقه للانصرف، لكنه حين وصل إلى الباب توقف لحظة، وابتسم بخبث ساخر:

- الناس فاكراك نسوانجي، بس الفيديوهات عاللابتوب بتاعك... مش بس شاذ! وكمان مازوخي يا ابن الوارمة!

حدقت عينا مروان، وتدلى فمه، وهو يراقب أسامة، وهو يغادر في صمت...

-9-

**اليوم الثاني.**

بالرغم من برودة الشتاء، إلا أن الغرفة البيضاء كانت بمعزل عن الطقس أيضاً، أما لينا فقضت وقتها ما بين النوم والصراخ، والعدو في أرجاء الغرفة، طارقة الجدران بطريقة هيستيرية طالبةً النجدة، لكن لم يكن من مجيب، حتى خانها جسدها تماماوانهارت في أحد أركان الغرفة مكورة جسدها، وبعد مرور وقت طويل– لم تتمكن من حسابه– عاد إليها الصوت مجهول المصدر مستهلاً حديثه بضحكات جنونية:

- أحسنلك تاكلي، لو قدرتي تصمدي فترة معينة هاتطلعي من هنا على رجليكي، وإلا هاتطلعي جثة، القرار في إيدك.

وكما استهل الصوت حديثه بضحكات جنونية متقطعة، أنهى حديثه بالطريقة نفسها، وخرج درج الأرز مرة أخرى، فزحفت سوزان تجاهه وأخذت تغرف الأرز بيدها، وتضعه في فمها، وتبلعه دون مضغ، وحين انتهت عاد الدرج إلى مكانه، فتوجهت إلى صنبور المياه، واستندت بكلتا يديها على الحوض لتنهض وتشرب.

فكرت في نفسها، أنه لو توفر لها الطعام والشراب، فستتمكن من المكوث في هذا المكان دون أي صعوبة، ودار في ذهنها أن عائلتها ستبلغ الشرطة وإن آجلاً أو عاجلاً سيأتي أحدهم لإنقاذها، وحتى لو لم يأت أحد لإنقاذها، فقد وعدها الصوت بأنها ستخرج، وبهذا هى في أمان، والنجاة قريبة غالباً، فقررت أن تتمالك نفسها، وتأكل ما يقدم إليها، ولمعت في ذهنها فكرة

الهروب، عليها فقط أن تجد باب الغرفة، فمن المؤكد أنها دخلتها عن طريق باب، وقررت أن تنام على أمل أن تستيقظ على سريرها في البيت من هذا الكابوس الغريب.

-10-

عندما انتصف النهار، تلقت سوزان اتصالاً هاتفياً من أسامة، سألها فيه عن شهاب، واطمأن على حالها، وأخبرها بزيارته لمروان، وقص لها باقتضاب ما حدث، وطلب منها أن تحافظ على رباطة جأشها وألا تقلق. ووعدها بأنهسيحضر لها تقرير المعمل الجنائي في الغد على أقصى تقدير، وفي نهاية المكالمةقال لها إنه احتياطياً وضع كلا من شهاب ومروان تحت المراقبة.

***

في مكتبه، تلقى شهاب اتصالاً هاتفياً أفزعه، فقد كان المتصل مدير البنك، الذي يدين له بقرض كبير، فحدثه بلهجة مرتبكة، وهو يرد على أسئلته بتوتر بالغ، ويعده بأن الدين سيتم دفعه في خلال شهر على الأكثر.

بعد نهاية المكالمة، حل الغضب مكان التوتر، وألقى شهاب الهاتف على المكتب، وهو يسب مدير البنك، متخيلاً إياه بقامته القصيرة، ورأسه الأصلع، ووجهه المستفز، سحنة مقززة لا يرضى به أن يلمع له حذاؤه لكن ملعون الزمن، الذي أذله.

وأخذ يلعن حظه الأسود في الحياة، وألقى بالملفات الموضوعة أمامه على الأرض.

في هذا اليوم، لم يكمل شهاب دوامه في العمل، بل هام بسيارته ذات الدفع الرباعي يجول الشوارع دون هدى. كادت الدموع تنفجر من عينيه، فهو كأي شخص متوسط الثقافة، يعلم بأن حل مشكلته بين يديه، لكنه كحال أغلب الناس يفضل أن يعيش دور الضحية، ضحية عائلته، التي اختارت له حياته- تلك الحياة

التي يستغرب لماذا يحسده الناس عليها– وزوجته التي رفضت أن تساعده، وأقربائه، الذين تنكروا له في ضائقته،وهكذا أباح لنفسه أن ينفث عن يأسه المصطنع، كيفما يشاء، فهو في نظر نفسه مظلوم، ويخشى على نفسه من الانهيار. الوحيد، الذي واجهه بالحقيقة مجردة هو أقرب أصدقائه، مفنداً له النعم، التي يتمتع بها، حاثاً اياه بأن يعمل، وأن يتحمل المسئولية بدلاً من الولولة، لكنه بدلاً من أن يستمع للنصيحة اتهم صديقه بأنه لا يشعر به، وتشاجر معه، وأقنع نفسه بأن هذا الصديق ما هو إلا حاقد! وهكذا تنامى لديه هاجس بالانتقام، انتقام من كل من خذلوه؛ عائلته، ومجتمعه، وأصدقائه، وحتى زوجته.

-12-

كحيوان، أخذت لينا تغرف الأرز بكلتا يديها، وتعبه في فمها بنهم، وتبتلعه دون مضغ تقريباً، وحين انتهت، انسحب درج الأرز، ووجدت نفسها تبصق على الدرج دون سبب، ثم جرجرت جسدها إلى الحوض لتغسل يديها ووجهها. رفعت عينيها لتشاهد وجهها في المرآة،كعادتها بعد غسل وجهها، لكنه لا توجد مرآة، ولا حتى فوطة لتنشف يديها، فمسحت يديها بنفور في زيها الأبيض، ثم رفعت ثوبها لتنشف وجهها.

انزوت لينا في أحد أركان الغرفة، وغاص رأسها بين يديها. لينا شخصية تميل للعب دور الضحية بشكل مقارب من شهاب المطيعي، وهى تماثله في عدة نقاط، منها ثراء عائلتها، وكذلك كراهيتها لهم، لكن لأسباب مختلفة، فقد أمضى أبوها أغلب حياته متنقلاً بين بلدان كثيرة لعقد صفقاته، فيما أمها سيدة الطبقات الراقية، والعضوة البارزة بنادي الروتاري، كانت تكرس أغلب وقتها لنشاطاتها الاجتماعية متجاهلةً لينا، وأختها فرح. كانت لينا لتسامح هذا التجاهل، وتعطي لأمها وأبيها حججاً بدلاً من الاتهامات لولا أنها رأت بأم عينيها، وهى في الحادية عشر من عمرها،مشهداً لن تنساه.

كانت قد عادت من المدرسة مبكراً عن موعدها بسبب وعكة صحية ألمت بها، وفوجئت بهدوء غريب في المنزل، لكنها، وهى تقترب من غرفة أمها سمعت أصوات غريبة على طفولتها. كان باب غرفة أمها موارباً، واعتلى أمها رجل على سرير أبيها.

فهمت لينا أن ما رأته هو مشهد للخيانة الزوجية، التي تراها في الأفلام، وهربت لغرفتها، وأخذت تبكي متناسيةً المرض، الذي دفع إدارة المدرسة لأن تعيدها إلى منزلها في وقت مبكر.
لم تكن هذه سوى المرة الأولى، التي تكتشف فيها خيانة أمها لأبيها، وحين وجدت في نفسها الشجاعة الكافية لمواجهة أمها بما رأت، كان رد فعل أمها بارداً جداً، إذ ابتسمت بسخرية، وأقرت لابنتها بأن الخيانة متبادلة، فأبوها أيضاً يخونها، بل، وتمادت بتحدٍ أنها لا تأبه لو صارحت أبيها بما شاهدت.
كتمت لينا السر في نفسها، لكن الصدمة حولتها لفتاة لا مبالية، باردة، وقطعت تقريباً علاقتها بأبويها وأختها، التي تصغرها بسنتين.
فقدت لينا عذريتها، وهي في السادسة عشر، وقبلها كانت قد بدأت طريق الإدمان بدايةً من الحشيش، مروراً بأدوية الجدول، حتى وصلت إلى الشم، وأخيراً الحقن.
كانت تلك الحادثة، في تلك السن المبكرة، هي نقطة انحراف جوهرية في حياتها، لكن بعدها بسنوات، كانت أختها فرح معها في رحلة مع الشلة إلى الساحل الشمالي، وفي أثناء عودتهم، أقنعت سوزان عبد الحكيم- صديقة لينا المقربة في ذلك الوقت- فرح بأن تجرب جرعة "ماكس"، وكانت لينا في حالة انتشاء لم تمكنها من منع أختها من تلك التجربة المريعة.
كانوا في سيارة مروان الطحان، ومعهم صديق آخر يدعى سامح نجم، وفي لحظة تعسة، انزلق إصبع سوزان لتضخ كمية أكبر من المخدر في شرايين فرح، التي أخذت تنتفض، ثم صمت جسدها إلى الأبد.

كانت وفاة فرح علامة فارقة في حياة هذه الشلة، فتوقف أغلبهم عن الإدمان، فيما قاطعتهم سوزان تماماً، أما لينا فقررت أن تأخذ حياتها على محمل الجد، وأخيراً تخرجت من كلية التجارة، ووجهت مجهودها للمساعدة في الإقلاع عن الإدمان، أما مروان فعرف طريقه إلى شهوة الجنس، وأخذ يصعد طريق النجومية، الوحيد الذي بقي كما هو، هو سامح نجم.
ولأن أفراد هذه الشلة من أعلى طبقات المجتمع، فتم دفن جثة فرح دون تشريح، أما عن سبب الوفاة، فكتب أنها أصيبت بأزمة قلبية!
كانت لينا ما تزال متكورة على نفسها في ركن الغرفة، وهى تسترجع حياتها أمام عينيها، والحق أنها تذكرت تفاصيل كثيرة لم تكن تتوقع أنها مازالت تتذكرها بهذه الدقة، لكنها نسيت حادثة واحدة، حادثة كان من شأنها أن تلقي بها في هذه الغرفة، ولو تذكرت تلك التفصيلة، لحلت لغز وجودها هنا الآن.

-13-

عاد شهاب إلى المنزل في موعده في تمام السادسة، وظهر أمام سوزان محطماً بائساً، مما زاد من شكوكها حوله، وكانت قررت، سابقاً في هذا النهار،بأن تلبي طلبه وتعطيه ما يحتاج من المال عل الحال ينصلح.

تناولا طعام الغذاء في صمت لا يقطعه سوى نباح الكلب، ولما انتهيا قام شهاب متثاقلاً، أما سوزان فهرعت تجاهه بخفة، واستوقفته بابتسامة عطف مشوبة بقلق:

- حبيبي، برضه موضوع الشغل اللي مضايقك؟

- معلش يا سوزي، أنا مش عايز أتكلم دلوقتي.

وأشاح بوجهه عنها، أما هى فتمالكت نفسها:

- ما ينفعش تخبي عليّ، احنا في مركب واحدة.

استدار شهاب منفجراً فيها:

- وما دام احنا في مركب واحدة، سايباني اغرق لوحدي ليه؟ ليه؟

اتسعت عينا شهاب في غضب، مما أثار الرعب في قلب سوزان، التي قالت بصوت متقطع:

- يا شهاب، أنا عمري ما كنت هاسيب جوزي يغرق، أنا آسفة إني اتأخرت بس غصب عني.

رد شهاب مشوحاً بكلتا يديه:

- ممنوش فايدة الكلام، كفاية انك بتشكي فيّ! ما تفتكريش يا هانم إني نايم على وداني، سيبتي ودانك لناس زبالة وصدقتيهم، وآدي النتيجة بنبتسم في وش بعض، وعايشين مع بعض في

تمثيلية ظريفة عشان خاطر ابننا... خلينا نفضل في اللي احنا فيه، خلاص ما بقيتش تفرق!

- صدقني أنا آسفة، أنا عارفة اني غلطانة، وعارفة برضه انك بتحبني واننا هنعدي ده كله سوا.

- نعدي بقى ولّا ما نعديش، ممكن لو سمحتي تسيبيني عشان مخنوق!

هم شهاب بالذهاب، فيما ردت سوزان بحسم:

- الفلوس اللي انت محتاجها وأكتر اتحولت لحسابك!

دهش شهاب، فتسمر في مكانه، فيما عيناه الذاهلتان تعلقتا بوجه سوزان:

- أنا... ما ينفعش.

- هوّ إيه اللي ما ينفعش، انت جوزي، وأبو ابني، وقبل ده كله حبيبي.

- سوزان... أنا.

- ما تقولش حاجة، تعالى ننسى كل حاجة حصلت، أي حاجة مهما كانت، ونبتدي من جديد.

تمنت سوزان أن توصل لشهاب رسالة غير مباشرة، وتمنت لو فهمها، لكنه بدا بمظهر أبله جعلها تشك في قدرته على التخطيط أصلاً.

أمضيا ليلة حميمية سوياً، حاولت سوزان أن تصطنع المتعة قدرما استطاعت، بل وبالغت في ردود فعلها، دون أن تشعر بمتعة حقيقية، حتى تهاوت عزيمة شهاب، ونام بجوارها كطفل بريء، أما هى فلم يغمض لها جفن، وهى تسترجع الأحداث المريبة، التي أحاطت بها، وتمنت لو كانت تثق بشهاب كزوج حقيقي يمكنها أن تعتمد عليه ليحميها هى وابنها.

-14-

في موقع التصوير، بدا مروان غاضباً متوتراً على غير طبيعته المرحة، لم يكن قد نام منذ زيارة أسامة له، وسيطر عليه شعور بالرعب، ربما لم يكن يهتم بفضح حياته الماجنة، بل كان يروج لها لتكون ستاراً يخفي خلفه ميوله الجنسية الشاذة، التي لو فضحت سيخسر كل شيء في لحظة، وفكر في أن يحدث سوزان في الأمر، لكنه خاف أن يؤدي هذا الحديث إلى نتائج لا تحمد عقباها، فتراجع عن هذه الفكرة، وكان المشهد ليلاً داخلياً في شقة بالزمالك، ويتطلب هذا المشهد أن يصفع ممثلة تؤدي دور زوجته، التي اكتشف خيانتها في الفيلم.

بسبب نفسيته المضطربة، صفع مروان الممثلة صفعة حقيقية، فاختل توازن الممثلة، وسقطت على الأرض، وسال خيط رفيع من الدم من أنفها. وفي لحظة تجمع العاملين بالأستوديو حولها، وأقاموها فيما هى تصرخ، وتسب مروان بأقذع الشتائم، حاولت أن تتهجم عليه، وتضربه لاعنة أبيه وأمه، وبصعوبة نجح العاملون بموقع التصوير في فصلهما، فيما مروان ذاهل مما حدث، وما لبث أن اعتذر عن التصوير في هذه الليلة، وغادر موقع التصوير.

انتشر خبر صفع الممثلة على مواقع التواصل الاجتماعي انتشار النار في الهشيم، وفوجئ هشام بمدير أعماله يبعث له بروابط صور وفيديوهات لما حدث، وتضمنت تعليقات شامتة متهكمة عليه، وعلى الممثلة ذات اللسان السليط.

أيقن مروانبأن عليه أن يخرج مما هو فيه، وأن يتحرك بسرعة متفادياً المزيد من المشاكل، فهاتف المنتج، الذي بدا مسروراً بما حدث معتبراً إياه دعاية مجانية للفيلم! لكن هذا لم يكن كافياً بالنسبة لمروان، الذي هاتف مدير أعمال الممثلة، عارضاً عليه مبلغاً من المال كتعويض لها كي يشتري سكوتها، ويحتوي الفضيحة.

ونجحت فكرته، فوافق مدير أعمال الممثلة على تعويض فاصل كثيراً في قيمته، فاطمأن مروان جزئياً، وقرر بأن يذهب إلى بيته، ويحبس نفسه فيه حتى موعد التصوير القادم، وفيما هو يركن سيارته فوجئ باتصال من آخر شخص يرغب في محادثته،، الضابط أسامة.

بدا صوت أسامة منتشياً بالنصر:

- كنت هتموت الوليّة يا ***!
- انت عايز مني إيه؟
- الصراحة أنا متأكد إن مالكش علاقة بموضوع سوزان.
- أمال إيه؟
- انت اللي عايز يا حيلتها.
- وأنا هعوز منك إيه؟
- بعدين، بعدين نتقابل، ونتكلم على رواقة.

أغلق أسامة السكة في وجه مروان، الذي تضاعف توتره، وهو يحاول تخمين ما يريده أسامة منه.

-15-

**اليوم الثالث.**

حوالي الساعة الواحدة ظهراً، وبينما كانت سوزان تقوم بأعمال المنزل بفتور، ووليدها لا يفارقها، تلقت اتصالاً من أسامة، فأجابت بلهفة:

- أسامة! إيه الأخبار؟
- للأسف مفيش بصمات، كل حاجة نضيفة!
- طب وبعدين؟
- ممكن أبعت حد يرفع بصمات من أوضة الولد.
- لأ أرجوك، مش عايزة شوشرة!
- عموماً ما اعتقدش إننا هنلاقي حاجة، لازم نستنى، بالمناسبة أنا عينتلك حد يراقب البيت.
- متأكد إن محدش هياخد باله؟
- لأ ما تخافيش، وبعدين حتى لو حد خد باله، ده في مصلحتنا يمكن يخاف.
- أنا بفكر أسافر برّه!
- فكرة كويسة، بس أنا أوعدك بإن محدش هيمس شعرة منك، ولا من طارق.
- مرسي يا أسامة، أنا واثقة فيك، بس الاحتياط أحسن.
- على فكرة، تعرفي حاجة عن لينا الصريطي؟
- لأ؟ ليه؟
- بقالها يومين مختفية تماماً، وأهلها بلغوا عنها!

- انت عارف إني قطعت علاقتي بالشلة من سنين.
- طيب عموماً لو اتصلت بيكي أو عرفتي عنها أي حاجة بلغيني.

لم تُعر سوزان اهتماماً بأمر لينا، وتوقعت بأنها ربما عادت للإدمان، أو قررت أن تقوم بمغامرة حمقاء، ونسيت الأمر تماماً، وبدأت تفكر في طريقة لإقناع شهاب بفكرة السفر المفاجأة.

-16-

كانت الشلة كلها تعافت من الإدمان، عدا سامح نجم، لم يكن فقط مدمناً، بل كان يعشق الإدمان! أصبح مسخاً بكل ما تعنيه الكلمة، فرغم أنه مازال في مرحلة الشباب فإن جسده كان نحيلاً بشكل رهيب، حتى بانت عظامه وأوردته، وجحظت عيناه في ذهول أبدي، وانحنى ككهل، أما صوته، فأشبه بفحيح ثعبان،لكن بالرغم من مظهره المنفر، فإن هاتفه لا يتوقف عن الرنين، رنين الزبائن المتلهفين لجرعة. فقد أصبحت المخدرات حياته، يتعاطاها ويتاجر فيها حتى أنه نادراً ما يأكل! وكلما يضيق به الحال، كان يحاول أن يبحث عن صديق قديم يقترض منه المال أو يأتيه بمخدر يدعي أنه متميز، فيضاعف ثمنه.

سامح معروف بحظه، فقلما يبيت ليلة في الحجز، وحتى حين احترف الاتجار في الممنوعات لم يمسك عليه أحد شيئا، بالأخص أنه يجامل الضباط والأمناء بسخاء ليس فقط بالمخدر، وإنما بأقراص الفياجرا وغيرها من المنشطات السحرية، لكن يبدو أن حظه على وشك أن يخذله، إذ مر بضائقة مالية دفعته إلى أن يبحث في دفاتره القديمة، فأمسك بهاتفه، وأخذ يحرك قائمة الأسماء، التي توقفت عند اسم سوزان، وقرر بأن يتصل بها، علها حنّت للمخدرات، أو رق قلبها عليه، وأقرضته مبلغاً يعينه على عبور الأزمة.

فوجئت سوزان برقم غريب على هاتفها، ولم يسعفها برنامج ال true caller الذي أظهر الرقم على أنه "Unknown"، فدارت الهواجس برأسها، وبعد تردد، ردت على المتصل:

- مساء الخيييييييررررررررررر...

كان سامح يلفظها بطريقة معينة جعلتها علامة مميزة له لا يخطئها أحد، فغاصت النبرة في ذاكرة سوزان، فتعرفت عليه، وملأت صدرها من الهواء، وردت بحذر:

- سامح؟
- بشحمه ولحمه يا حب حياتي!
- أفندم؟
- إيه المعاملة الوحشة ديه؟
- عايز إيه يا سامح؟
- الله الله! قولت اطمن.

ردت بحنق:

- شكراً يا سامح، أنا كويسة.. أي أوامر؟
- أنا بشوف لو محتاجة حاجة كده ولّا كده.

أدركت ما يرمي إليه، فردت بحسم:

- لا. ما انت عارف اني بطلت السكة من زمان.
- طب مش عايزة تساعدي موحة إنه يبطل؟

أغلقت سوزان السكة، وهى تلعنه بتقزز، أما هو فنظر إلى الهاتف باستهزاء، ونعتها بالعاهرة ناسجاً حولها قصصاً جنسية لم تحدث سوى في مخيلته، وسرعان ما تناسى الأمر، وعبث ثانية بقائمة الأسماء في هاتفه باحثاً عن شخص آخر.

أما سوزان، فاتصلت فوراً بالضابط أسامة تبلغه بأمر المكالمة، لكن أسامة استبعد أن يكون لسامح أي علاقة بما حدث لسوزان، بالأخص لأنه يعلم أن سامح متمركز في الساحل الشمالي، ولم يزر القاهرة منذ حوالي سنة، إلا أنه قرر ألا يدع مجالاً للشك،

وأن يتحرى عنه علّ أبعد الاحتمالات تقوده إلى خيط يساعده في حل هذه القضية.

-17-

كان الصوت الوحيد، الذي تسمعه لينا هو صوت خاطفها المريب، لكنها فوجئت بصوت ساعة تدق معلنة الساعة الثانية عشر. كان الصوت عالياً وبث خوفاً فيها جعلها ترتجف، وهى تجيل بنظرها في الغرفة، وحين انتهت الدقات، وعاد الصمت مرة أخرى، توجهت إلى الحوض لتغسل وجهها، ثم عادت لتجلس مرة أخرى، وأصبح الملل يقتلها أكثر من القلق، فلا شيء يحدث سوى أدراج الأرز، التي تظهر من حين لآخر، وأدركت بأن خروج أدراج الأرز لا يحدث على فترات ثابتة، وبدأت تخمن أن الهدف الحقيقي من وراء سجنها الأبيض هو أن تفقد عقلها!

لكنها استهانت بالأمر، فمهما حدث لن تتأثر بهذه الطريقة، التي حسبتها سخيفة، وضحكت مشيرة بإصبعها إشارة بذيئة، وإمعاناً في الاستهزاء بما هى فيه، أخذت تعبث بجسدها، لكن فجأة رج صوت طبول شبيهة بطبول الكشافة المكان، فجالت بنظرها بخوف حولها، ثم امتزجت أصوات الطبول بضحكات شيطانية، ثم توقف الصوت فجأة، فقررت أن تغمض عينيها باحثةً عن الخلاص في النوم، لكنها لم تهنأ بأي نوم بسبب أصوات الضجيج، التي أخذت تتردد في الحجرة من آن لآخر، وتراوحت تلك الأصوات ما بين أصوات الطبول، وأصوات أطفال صغيرة تلعب، وكذلك صراخ مرعب، وأحياناً أصوات قطرات مياه، وتأوهات جنسية متألمة، هذا بجانب الضحكات المعتادة.

كلما حاولت لينا أن تغطي أذنيها لتتخلص من تلك الأصوات، علت تلك الأصوات، لكن فجأة ساد صمت رهيب، حتى أخذ صوت زنة مملة يخترق أذنيها، لكنها، وبعد فترة، استطاعت أن تغمض عينيها، وبدأت تستغرق في النوم، إلا أن الأصوات أخذت تعود مرة أخرى، فقامت وأخذت تضرب جدران الغرفة، وهى تصرخ بائسة طالبةً النجدة.

-18-

أيقنت سوزان بأن الحل الوحيد لما هى فيه هو السفر لأمها في أمريكا، هناك ستكون بعيدة عن أي خطر، لكن عليها أولاً أن تقنع شهاب بهذه الفكرة،وقررت أن تفاتحه في الأمر بحجة مرض والدتها.

كان شهاب يداعب الطفل طارق في غرفته، حين طوّقته سوزان بذراعيها من الخلف، وقالت له:

- عايزة أطلب منك طلب.
- أؤمري يا حياتي؟
- عايزة أروح لماما في أمريكا عشان هى تعبانة شوية.

استدار شهاب ليواجهها بوجه مغتاظ:

- ماما تعبانة؟ ولّا ما بقيتيش طايقاني؟

كانت سوزان قد طلبت من زوجها أن تسافر حين بدأت تشك فيه، وعندما كررت طلبها الآن، خمنت من رد فعله بأنه يخشى من أن تكون عادت لشكوكها، فزادت من نبرة الدلال:

- يا حبيبي، احنا اتفقنا إننا هنبتدي من جديد، وننسى كل اللي حصل امبارح.
- ولّا تكونيش فاكرة إنك اشتريتيني بفلوسك يا هانم؟
- ليه بتقول كده؟ إيه العلاقة؟ هوّ حرام أزور أمي العيانة؟
- لا مش حرام، بس أنا لسه مطمن عليها النهارده، وكانت صحتها زي الفل.

- شوفت، انت نفسك بتكلمها كذا مرة في الأسبوع تطمن عليها، أنا عارفة إنك بتحبها، وهى كمان بتحبك أوي، ومش عايزة تقلقك.

كانت ثورة شهاب بدأت تهدأ، فقال لها بحزم:

- بصي، أنا هاخلص كام حاجة مهمة في الشغل، ونسافر سوا الشهر اللي جاي.

فكرت سوزان للحظات:

- طب ما اسافر أنا، وبعدين تحصلنا؟
- لأ، أنا مش عايز أقعد لوحدي، ومحتاجك جنبي لغاية ما اخلص من اللي انا فيه.

كادت سوزان تصارحه بما حدث، لكن شيئاً ما بداخها منعها من هذا، فقررت أن تتجاوب معه على أن تطلب من والدتها أن تدعي المرض لتؤثر عليه، فكانت على يقين بأنه لن يرفض طلبا لحماته، التي يعتبرها أمه الثانية.

-19-

**اليوم الرابع.**

كانت الأصوات قد سكنت لفترة من الزمن سمحت للينا بأن تنعم بقسط قصير من النوم، لكنها استيقظت على صوت أغنيةإنجليزية(3)بصوت شيطاني:

Don't you be afraid, come and step inside, take a look around
I'm your holy grail in your candy store to save you from the profound
They used to dream in only black and white
Can't you hear them scream, drowning in the tide

Out in the cold, I see water frozen in their eyes
What a sorry sight
I am willing to believe
They would pay for a smile

I'm the master of toys
and all you girls and boys
are welcome to my wonderland

I'm the angel of joy
And I'm here to paint the void

Welcome to my world
To my dream factory

Say hello to the gentleman with the paint
The deeper you're in the blue, the sweeter the sound of your plaint
If only I had a heart it would break, Oh sure
And I wonder how much more they can take

Out in the cold, I see water frozen in their eyes
What a sorry sight
I am willing to believe
They would pay for a smile

I'm the master of toys
and all you girls and boys
are welcome to my wonderland

I'm the angel of joy
And I'm here to paint the void
Welcome to my world
To my dream factory

I come to bring you pain

And a little novacaine
Welcome to my world, to my toy factory

No more striding on the classes
No more striding on the masses
On their knees, conformity

They are waiting for the hero
They are flying at zero
It's their turn, to crash and burn

No more striding on the classes
No more striding on the masses
On their knees, conformity

They are waiting for the hero
They are flying at zero
It's their turn, to crash and burn

I'm the master of toys
and all you girls and boys
are welcome to my wonderland

I'm the angel of joy

And I'm here to paint the void
Welcome to my world
To my dream factory

I come to bring you pain
And a little novacaine
...Welcome to my world, to my toy factory

كان صوت المغني منفراً بشدة، مما جعل لينا تصرخ في بادئ الأمر، لكنها صمتت في محاولة لتفسير الكلمات علها تكون مفتاحاً لفك لغز وجودها في هذا الجحيم الأبيض، وبعد أن انتهت الأغنية، عاد صوت الضحكات الشيطانية:

- ازيك يا لينا؟
- انت عايز مني إيه؟
- انتي اللي عايزة على فكرة!
- طلّعني من هنا؟ أنا بقالي أد إيه هنا؟ حرام عليك!
- أوعدك انك هتشكريني.
- انت مين؟
- دهار.
- ايه؟ يعني إيه؟
- اسمي دهار.
- لو عايز فلوس.

قاطعها الصوت:

- انتيليه خيالك ضيق؟ لو كنت عايز منك فلوس كان إيه لزمته كل ده؟ انتي كده بتشتميني.
- انت مجنون!
- أنا بنفذ رغباتك.

أخذت لينا تصرخ وتهذي بكلمات كثيرة، لكنها لم تتلق جواباً، ودخلت في حالة هيستيرية مزقت فيها جلبابها الأبيض، ونشبت أظافرها في صدرها فسالت الدماء من جانبي صدرها، لكنها لم تشعر بألم، وسقطت على الأرض تبكي.

-20-

في الليلة السابقة، تلقى سامح علقة ساخنة من "العربجي"، وهذا العربجي هو بلطجي يعمل لحساب أحد تجار المخدرات يدين له سامح بمبلغ من المال، وحين استيقظ، كان جسده ممدداً أمام الشاليه، الذي يسكن فيه، وتغطت ملابسه بالدماء، وبصعوبة قام ودخل الشاليه، وقرر بأن عليه أن يزور القاهرة لبضع أيام هرباً من بطش العربجي. على الأقل حتى يتمكن من تدبير المبلغ اللازم.

-21-

عندما انتهت سوزان من أعمالها المنزلية، وجدت نفسها تتذكر تفاصيل ما حدث لها منذ أربعة أيام، وانتفض قلبها، وهى تتذكر طفلها، وهو يصارع داخل كيس الزبالة الأسود، فاحتضنته بقوة، وأخذت تقبله، لكن لمعت في رأسها تفصيلة لا تعلم كيف غابت عنها؛ لقد كانت الرسالة ممضاة باسم "دهار"، من هو هذا الدهار؟ بالطبع لم تكن تعرف شخصاً بهذا الاسم، لكن في محاولة لتخمين من هو صاحب هذا الاسم، أو على الأقل تفسير معناه، أمسكت بهاتفها المحمول، وكتبت "دهار" على Google.

لم تجد أي شخص من البشر بهذا الاسم، لكنها وجدته اسماً لأحد أبناء الشيطان، وهو مسئول عن الكوابيس المفزعة والأحلام ذات الطابع الجنسي!

وقررت أن تشارك نتيجة بحثها مع أسامة، الذي لم يبد أي اندهاش، بل أوضح لها أنه قام بهذا البحث، ولما لم يجده مفيداً لم يشاركها به، وسألها أسامة عن شهاب، فردت عليه:

- بص، شهاب كان عنده مشكلة، ومحتاج فلوس، وأول امبارح أنا حولتله مبلغ أكتر من اللي هو محتاجه في البنك. بيتهيألي إنه كده.
- ازاي تعملي كده من غير ما ترجعيلي؟
- أنا مش شايفة مشكلة في ده! بالعكس.
- لأ طبعاً، لو هوّ اللي ورا الموضوع ده، هتكون مجرد بداية، وبعد كده هيبتدي يهددك أكتر.

- اسمع يا أسامة، أنا ما يتهيأليش إن شهاب ممكن يحط ابنه في كيس زبالة ويهددني بيه.
- أمال اديتيله الفلوس ليه؟
- عايزة أضمن إنه جنبي، وإنه مش شايل مني حاجة... عايزة أحس بإنه ممكن يحميني فعلاً لو حصل حاجة.
- قررتي تشتريه يعني؟
- خلي بالك انك بتتكلم عن جوزي.

صمت لحظة، ثم استطرد:

- انتي حياتك مهددة بالخطر، ويا ريت قبل ما تعملي أي حاجة بعد كده ترجعيلي. ممكن؟

أرادت سوزان أن تتخلص من هذا الموضوع، وتدير دفة الحوار إلى جانب آخر:

- إيه أخبار لينا؟ عرفتوا عنها حاجة؟
- للأسف لأ. بس لقينا عربيتها محروقة في حتة مهجورة جنب الطريق الزراعي.

فقالت سوزان بلهفة:

- هيّ جرالها حاجة؟
- لا، العربية كانت فاضية. الحل الوحيد قدامنا إنها اتخطفت.
- تفتكر إن ده له علاقة باللي حصللي؟
- ما اعتقدش، بس مفيش حاجة مستبعدة، بس عموماً الشرطة كلها مقلوبة، وبتدور عليها،

انتى عارفة أهلها واصلين، وأبوها ناوي يرشح نفسه لمجلس الشعب.

- الفلوس والسلطة.

ضحك أسامة باقتضاب، وأنهيا المكالمة.

-22-

بالرغم من كل شيء، استمرت لينا في أكل وجبات الأرز، التي كانت تقدم لها. كان بداخلها رغبة في الحياة، بالرغم من حالة التشتت الذهني، التي كانت تعاني منها، وكانت تتحين أوقات الصمت لتنام، لكنها فوجئت، بعد نوم قصير ،بأن جلبابها الأبيض أصبح مبلولاً بسائل دافئ، فأيقنت بأنها تبولت على نفسها لا إرادياً أثناء نومها، وكانت هذه هى المرة الأولى منذ دخولها تلك الغرفة، التي تبكي فيها، لا بسبب وضعها المريب، وإنما بسبب حزنها على نفسها، وعلى حالتها المتردية.

بينما هى تنتحب عادت الأصوات الرتيبة مرة أخرى، فأخذت تصرخ، وتلطم خديها وصدرها، ولم تلاحظ أنها أخذت تقطع وجهها وصدرها بأظافرها، فسال الدم على جلبابها لتجد نفسها تنهار فجأة أرضاً، وأخذ جسدها ينتفض حتى سكنت، وذهلت عيناها، لكن بصعوبة ميزت رائحة غريبة في الغرفة،وسرعان ما أغشي عليها.

-23-

**اليوم الخامس.**

قرابة الساعة العاشرة صباحاً، وجدت سوزان الضابط أسامة يطرق بابها دون موعد مسبق. رحبت به، وأعدت له نيسكافيه، وجلسا صامتين لعدة دقائق حتى قطع أسامة الصمت:

- عملتي ايه في موضوع السفر؟
- شهاب مش موافق، بس أنا كلمت ماما عشان تأثر عليه.
- أحسن برضه.
- انت في الأول مكنتش موافق على موضوع السفر ده.
- الموضوع ابتدا يتعقد.

نظرت إليه باندهاش، فأكمل:

- في الأيام اللي فاتت حصلت حاجات مقلقة،أظن فيه خيوط كتير.
- ممكن متخبيش علىّ حاجة؟
- أولاً موضوع لينا وعربيتها اللي اتحرقت، لينا غالباً اتخطفت، وبعدين لما فتشت بيت مروان اكتشفت إن عنده ميول غريبة.

قاطعته:

- ميول غريبة يعني ايه؟
- يعني مازوخي.

نظرت إليه باستفهام، ففسر لها:

- مش عارفة يعني إيه مازوخي يا سوزي؟ يعني بيحب ينضرب، لذته إنه ينضرب، لقيته مصور فيديوهات غريبة، وعنده أفلام مش تمام خالص على ال laptop بتاعه.
- أه فهمت، بس الخوف لو كان سادي.
- لأ طبعاً، ميوله الشاذة ديّه تقلق، وكمان سامح نجم نزل القاهرة.
- انت بتفكر فـإيه؟
- انتى ومروان وسامح ولينا كنتم شلة. انتى جالك جواب تهديد، ولينا اتخطفت، ومروان طلع إن له ميول غريبة، وكان بيحبك، وبعدين إيه اللي نزّل سامح القاهرة في الوقت دة بالذات؟
- تفتكر ممكن يكون سامح ومروان متفقين على حاجة؟
- مش بعيد.

و اكمل أسامة:

- يا ترى مروان كان بيفكر فـإيه لما ادى الممثلة اللي معاه قلم كان هيطيرلها صف سنانها؟
- هوّ عمل كده فعلاً؟
- انتى مش متابعة ال facebook؟
- لأ، مقاطعة كل الحاجات ديّه زي ما انا مقاطعة الناس من زمن.
- أقولك سر؟

- اتفضل.
- لما جيتلك يوم الحادثة، حطيت احتمال إن انتي اللي عملتي كده، بالأخص لما ما لقيتش بصمات.

ردت عليه باستنكار:

- أنا هاحط ابني في كيس زبالة؟ حرام عليك.
- انتى عارفة إن علم النفس كان المادة المفضلة عندي في الكلية.
- ولسّه شاكك فىّ؟
- لأ، بس بحاول اربط الخيوط ببعضها ومش عارف.
- طب وشهاب؟
- برضه شاكك فيه، وبعدين هوّ ليه مش عايزك تسافري؟
- بيقول إنه محتاجني جنبه اليومين دول، بس انا عارفة إن موضوع السفر ده بيفكره بالوقت اللي كنت بشك فيه.
- على فكرة هوّ مش بيخونك، أنا مراقب تليفونه.
- أسامة، أنا ما يهمنيش أي حاجة تحصلي، المهم طارق.
- متخافيش.

وقطع حديثهما صوت هاتفها، فنظرت فيه سوزان:

- ده شهاب.

- طيب ردي عليه.

ردت سوزان لتجد شهاب يقول لها بتأنيب:

- خليتي طنط تكلمني عشان تسافري؟ ماشي سافري.

تهللت أسارير سوزان، وهى تزف خبر موافقة شهاب على سفرها لأسامة، الذي رد عليها بيأس:

- أنا لو منك ما ارجعش، خلي شهاب ييجي معاكي، وتعيشوا سوا هناك.

- مالك يا أسامة؟ طول عمرك ضد فكرة الهجرة.

- البلد مش باينلها خير، انتى عارفة الظابط، اللي انفجرت عربيته الأسبوع اللي فات؟ ده صاحبي. بقى مشلول... كلنا بقينا في خطر، أنا زهقت.

- أنا آسفة يا أسامة، ربنا يعينك.

-24-

استيقظت لينا، وهى تعاني من صداع شديد، لكنها وبعد مجهود، استقامت في جلستها لتجد نفسها ترتدي جلباباً أبيض جديداً نظيفاً، أما جراحها، التي سببتها لنفسها، فكانت تحرقها، وكأن أحدهم طهر تلك الجروح بمادة كحولية. فكرت لينا، بما تبقى من عقلها، في أن خاطفها، ربما يتمتع بنوع من العطف، أو أنه يريد إبقاءها على قيد الحياة لسبب لا تعلمه، وتذكرت حديثه الأخير معها، بالأخص حين قال لها إنها هى من طلبت منه أن يفعل بها هذا، فاعتصرت ذاكرتها لتبحث عن مراجع لتلك الكلمات، لكنها لم تستطع ربط هذه الكلمات بأي شيء.

ولاحظت أن درج الأرز مفتوح أمامها، فجال بذهنها، انها أمام خيارين، إما أن تختار الحياة أو الموت، لكن في هذه الحالة بدا لها الموت أكثر منطقية من الحياة. ملعونة هى غريزة البقاء، التي آلمت معدتها ودفعتها إلى أن تجر جسدها لتقترب من الطعام، وتلتهمه في بطء،لكن قبل أن تكمل وجبتها كان الدرج أغلق.

حاولت لينا أن تصرخ، لكن لم يك بها طاقة كافية تمكنها من أي فعل.

-25-

لم يكن مروان يقضي وقتاً طويلاً في منزله، كان فقط يستخدمه للنوم في أغلب الأيام، لكن منذ تلك الصفعة، قرر بأن يعتزل كل شيء، على الأقل حتى ينام الموضوع، ويدخل حيز النسيان، ويستجمع قواه، وأغلق هاتفه، متجاهلاً مواعيد "أوردرات" العمل،غير عابئ بتهديدات المنتج، الذي قرر أن يطالبه بالشرط الجزائي.

في هذه الفترة، التي قضاها وحيداً، شعر بعزوف عن كل متع الحياة، حتى الطعام! حتى أنه فكر جاداً في أن يكتفي بما جناه من ثروة، وأن يغادر مصر إلى بلد آخر لا يعرفه فيه أحد، يعيش فيه حياة بوهيمية.

لكن عزلته الاختيارية كانت تخترق بزيارات من مدير أعماله، وكذلك من الصحفيين، الذين يأسوا من الوصول إليه، وأطلقوا العنان لمخيلاتهم لتفسير ما حدث من الممثل في موقع التصوير، والحال الذي وصل إليه.

زائراً واحداً لم يستطع رفضه، الرائد أسامة، الذي طرق بابه بابتسامة عريضة بثت احساساً غير مريح في نفس مروان، الذي وجد الزائر يقتحم البيت دون استئذان، ويجلس بأريحية على أحد المقاعد الوثيرة، بل ويطلب من صاحب البيت أن يجلس أمامه:

- ازيك يا نجم الجيل؟

نظر إليه مروان بامتعاض، وحاول السيطرة على أعصابه:

- ممكن تخش في الموضوع يا أسامة؟ عايز ايه؟

- هو من ناحية عايز، أنا عايز.
- فلوس؟
- انت عارف اني مش محتاج فلوس.
- أمال إيه؟
- مش هتشربني حاجة في بيتك؟
- اللهم طوّلك يا روح.
- أمال فين واجب الضيافة يا فنان؟ عموماً شكراً!
- أرجوك، خش في الموضوع.
- مين الناس اللي زيك؟
- نعم؟ زيي ازاي؟
- احنا هانستهبل من أولها؟
- ولا باستهبل ولا حاجة، فهمني عايز ايه؟
- أنا عارف إن فيه ناس كتير في مراكز حساسة على علاقة بيك... علاقة وسخة.
- انت فاكر إني هاقولك حاجة زي ديّه؟ انت مجنون؟
- أبداً! انت هاتقولي عشان حياتك ترجع زي ما هى، عشان ما اوديكش في داهية.
- انت عارف الناس ديّه ممكن تعمل فىّ إيه لو فتحت بقي بكلمة؟ بلاش أنا، فكر في نفسك، الناس ديّه ممكن تفرمك.
- ماتخافش علىّ، ولا تخاف على نفسك.

كان أسامة قضى سنتين من عمره في جهاز أمن الدولة قبل أن يتحول إلى جهاز الأمن الوطني، وكان خبيراً بأساليب الاستجواب وانتزاع المعلومات، فلم يصمد أمامه مروان طويلاً، وبعد ساعة من الزمن، كان أسامة يغادر منزل الفنان، وحصل على معلومات لا تقدر بثمن عن مجموعة من صفوة سيدات ورجال المجتمع.

-26-

**اليوم السادس.**

اليوم هو الجمعة، وهو يوم مميز في كل البيوت المصرية، يوم لا يرن فيه المنبه غالباً، وهكذا كان الحال في منزل شهاب، فهو وزوجته ينعمان بالراحة والنوم في هذا اليوم، لكن بدلاً من المنبه، استيقظت سوزان على رائحة شيء يحترق، رائحة قوية قادمة من المطبخ، دفعتها إلى أن تقوم من سريرها، وتتوجه حافية إلى المطبخ، لتجد دخاناً يتصاعد من الفرن.

كان هناك مظروف أبيض ملصق بشريط لاصق على باب الفرن، انتزعت سوزان المظروف، وفتحت باب الفرن لتتراجع صارخةً إلى الخلف، وتتقيأ.

-27-

في اللحظات الصعبة، حين تنهار العزيمة، وتظلم السبل، تنحدر العقول والنفوس باتجاه هاوية مظلمة، مصورةً للإنسان أن الهروب هو الحل. الهروب من كل شيء، الهروب من الحياة نفسها، لكن قليلين يجرؤون على ضغط الزناد أو القفز من الشرفة، قليلين يجرحون معاصمهم ويراقبون الدماء تسيل ببطء ساحبةً أرواحهم من أجسادهم، حتى ينقشع كل شيء من حولهم. شخص في حالة لينا قد يفكر ملياً في الانتحار، ربما قرصها الجوع فانهارت وأكلت، لكنها وجدت نفسها، وقد بللت جلبابها مرة أخرى لا إرادياً. أيقنت بأنها لن تتمكن من منع نفسها من تناول الطعام أو شرب المياه، حتى لو امتنعت عن الطعام والشراب، فستموت ميتة بطيئة لن تحتملها، وأخذت تجول بعينين شاخصتين في الغرفة، هذه المرة لم تكن تبحث عن مكان تهرب منه، بل عن أداة تمكنها من الفرار الأبدي من هذا العالم، لكن عبثاً كان بحثها.

أخذت الأصوات تعلو مرة أخرى في الغرفة، فحاولت تغطية أذنها، وشعرت بآلام غريبة تجتاحها، فأغمضت عينيها حتى عاد الهدوء، حينها قفزت إلى عقلها فكرة مجنونة، فقامت وقد وجدت في نفسها نشاطاً غريباً، فأخذت وضعية الاستعداد للجري، وما هى إلا لحظة، ودفعت نفسها للعدو باتجاه الحائط وصدمت رأسها به، فسقطت أرضاً، وانفجرت الدماء من جبهتها.

-28-
كان باتشي– كلب سوزان المدلل-- مخوزقاً بسيخ الشواء، الذي دخل من مؤخرته، وخرج من رأسه، وكان يلف ببطء في الفرن، حتى تفحم تماماً، فيما سالت دماؤه لتغطي قاع الفرن،ورسمت بقعة حمراء قانية حول البوتاجاز.
أما شهاب، فاستيقظ مفزوعاً على صوت صرخات زوجته، وقفز مفزوعاً باتجاه المطبخ، هناك وجد سوزان ترتجف والدموع تنهمر من عينيها، فاحتضنها،وهو يبعد عينيه باشمئزاز عن الفرن، ولاحظ المظروف الأبيض في يدي زوجته، فأخذه من يديها وفتحه، ليجد رسالة جديدة:
"ليه يا سوزان؟
فاكرة إن لما تسافري مش هوصلك؟ أنا في كل مكان، ومش هسيبك غير لما تنفذي اللي أنا عايزه.
متسافريش ومتسيبيش البيت، المرة اللي جاية مش هيكون كلب.
آه على فكرة، هتلاقي هدية صغيرة تحت البوتاجاز، بدل اللي اديتيها للظابط. متفتكريش انه هيعرف يحميكي مني، هو مش هيعرف حتى يحمي نفسه.
آه! استمتعي بالهوت دوج!
دهار"

صرخ شهاب في وجه زوجته ملوحاً لها بالخطاب، مستفسراً عما يحدث، أما هى فزاد ارتجافها، وتنفست بصعوبة، وهتبحث عن كلمات لن تنطقها، إذ تهاوى جسدها، وأغشي عليها، لكن شهاب تركها وتوجه بغريزة أبوية إلى حجرتهما، حيث ينام الطفل ليطمئن عليه، هناك وجده يبكي في سريره، فحمله واحتضنه.

-29-

استطاع سامح نجم أن يجد له ملجأً في القاهرة لدى حنان سعيد. كانت حنان صديقته، وجمعتهما علاقة لعدة سنوات قبل أن يفترقا بسبب الهيروين، الذي جمعهما لأول مرة منذ خمس سنوات. تعيش وحدها في شقة بوسط البلد، وهيإحدى راقصات الفن الحديث بالأوبرا. جميلة، رشيقة، تلجأ لنشوة المخدر، لكنها لا تدمنه، فقط تكتفي بجرعات من الهيروين النقي من حين لآخر.

كانت هى المرأة الوحيدة تقريباً، التي وجدت في هيئة سامح الشيطانية جمالاً من نوع خاص، لكن لأن علاقتهما بدت لها بلا جدوى آثرت أن تضع لعلاقتهما نهاية،لكن عندما رأته يقف أمام بابها، يطلب منها أن تستضيفه لعدة أيام، شعرت تجاهه بشفقة ورغبة، فدفعتها الرغبة أكثر من الشفقة إلى أن تستقبله في بيتها.

كانا قد باتا على سرير واحد، لكن سامح، الذي دمرته المخدرات كان قد فقد أغلب طاقته، وسريعاً ما خر في نوبة شخير أزعجتها، وبدلاً من الأشواق، حل النفور، لكنها قررت ألا تطرده، ستبقيه ليسليها قليلاً، وعزمت على أن تحاول أن تقوم بشيء صالح في حياتها، وتحاول أن تقنعه بأن يبدأ بداية جديدة.

حين استيقظ قبيل الظهر، كانت أعددت له وجبة شهية من الطعام الصحي، الذي تتناوله لتحافظ على لياقتها، فشكرها ممتعضاً من نوعية الطعام، الذي قدم له، ولأنه لم يكن لديه خيار، تناوله على مضض، وبعدما أنهى وجبته، أخرج لفافة

من السيلوفان بها كوكتيل من الحبوب، قدمها لها، لكنها رفضت:

- سامح، انت عندك كام سنة؟
- يووووه عالصبح، عديت التلاتين.
- وبعدين؟ انت عملت ايه في حياتك؟
- وبعدين بقى في كلام أبله الناظرة ده؟
- يا ابني أنا عايزة مصلحتك.

ضحك، وغنى:

- قطر الحياة بيعدي بسرعة، سنة في سنة في.

قاطعته بحسم:

- مش هتاخد مخدرات في بيتي!

شوّح لها بيده، ثم ألقى عدة حبوب في فمه:

- انتم هتذلونا عشان بايتين عندكم يومين؟

قررت أن تصمت، وسيطرت عليها فكرة، قررت أن تنفذها مهما بدت غير منطقية.

-30-

بعدما هدأت سوزان، جلست أمام زوجها، الذي حمل طفلهما بقلق، وكأنه يخشى عليه منها، وأخيراً استهل الحديث:

- أنا عايز أعرف إيه اللي بيحصل في بيتي؟

لم يكن لدى سوزان أي حل سوى أن تفصح لزوجها بالحدث الغريب، الذي وقع منذ عدة أيام، حاولت أن تجد طريقة تجمل به الأمر، لكنها فشلت، ووجدت غضباً عظيماً في قسمات وجهه، التي تجهمت، والشرار يتطاير من عينيه:

- ولما تحصل مصيبة زي ديّه في بيتي تكلمي الزفت أسامة، وأنا ما اعرفش؟ قاعد طرطور أنا؟

كانت ترتجف، وهى ترد:

- يا شهاب افهمني، أنا كنت مقدرة الحالة اللي كنت فيها، وماكنتش عايزة ازعجك.
- حالة إيه؟ مراتي وابني متهددين بالقتل، وابني كان في كيس زبالة في أوضته! وانا ما اعرفش؟
- ما انت كنت هتعمل ايه؟ كنت برضه هتبلغ.
- انتى عايزة تجنيني يا ست انتى؟ ولّا الهباب اللي كنت بتتعاطيه أكل دماغك؟
- أقسم بالله، ورحمة بابي، أنا ولا حتى شربت سيجارة من سنين.
- الحق مش عليكي، الحق علىّانا إني اتجوزت واحدة زيك. بس وديني لو حاجة حصلت

لابني، مش هارحمك يا سوزان، فاهمة؟ مش هارحمك.

وقام، والطفل في يده، تاركاً سوزان تبكي.

-31-

أخذت عينا لينا تفتحان بصعوبة، لكن الرؤية كانت باهتة، البياض يحيطها، لكنها ليست الغرفة، التي اعتادتها. كانت في وضع الاستلقاء، وكأنها على سرير، وحاولت أن تتحرك، لكنها اكتشفت أنها مقيدة من كلتا يديها وقدميها، وكذلك من خصرها بما يشبه أحزمة جلدية منعتها من القيام بأي حركة. عموماً كانت في حالة بين اليقظة والغيبة، يقظة عقلية متوسطة وغفلة جسدية منعتها حتى من الصراخ، هذا بجانب أن الرؤية كانت ما تزال مشتتة.

وكان صمتاً رهيباً، حتى بدأت تسمع صوت حركة، وأقدام إنسان تتحرك مقتربة منه، حينها تدفقت الدماء بغزارة في جسدها معلنة حالة نفور، فدبت فيها الحياة إلى حد ما، وحاولت أن تحرك جسدها، وأخيراً استطاعت أن تصرخ:

- انت مين؟

سمعت ضحكات شيطانية متقطعة، ميزت خلالها كلمة واحدة:

- دهار.

كان هو الصوت نفسه، الذي كانت تسمعه في محبسها السابق، فبكت، بينما عيناها تحاولان أن تميز الشبح الأبيض، الذي ظهر طيفه في مجال رؤيتها، فألقى رعباً مضاعفاً في قلبها:

- إرحمني! خد اللي انت عايزه، عايزه أطلع من هنا.
- انتي اللي طلبتي ده، وفي ايدك لوحدك تطلعي من هنا عايشة أو ميتة، المسألة مسألة وقت.
- كفاية... كفاية.

أخيراً اقترب منها ذلك الشبح، وكان أول ما وقعت عليه عيناها هو وجهه، لم يكن وجهاً، بل قناعاً أبيض حزينا بوجه يميل إلى الاستطالة، عيناه مختفيتان خلف عيني القناع السوداوين، لكن مع مزيد من التركيز، كان القناع غير نظيف، وكأنه قديم، وهو مكسور من أعلى الحاجب الأيمن، وحتى أسفل العين اليمنى، لكنه ملحوم بسلوك حديدية مرشوشة أيضاً باللون الأبيض، لكنها بارزة، أما العين اليمنى، فرسم تحتها ما يشبه دمعة بلون أحمر داكن، أما فمه، فرغم أنهيوحي بالحزن،فإن ابتسامة غامضة مرعبة كانت مرسومة خلف هذا الحزن، وكان جسد ذلك الشبح– إذا صح أن ندعوه شبحاً–مكسواً من أعلى رأسه وحتى قدميه بقماش أبيض فضفاض، لكنه كان أيضاً متسخاً بشكل ملحوظ، وفي يديه قفاز قماشي أبيض أيضاً.

أخذت لينا تتشنج، وهى تشيح برأسها بعيداً كنعامة تدفن رأسها في الأرض هرباً من أسد، بينما مال دهار عليها، ووضع يديه على كتفيها:

- لازم تستحملي، وتعدي اللي انت فيه، سوزان هى السبب، ولازم تدفع التمن.

-32-

كان شهاب ارتدى ملابسه، وحضّر حقيبة صغيرة حملها على كتفه، وضم الطفل بيده اليمنى إلى صدره، وهمّ بمغادرة المنزل. حاولت سوزان أن تمنعه، وهى تترجاه، وأمسكت به، لكنه دفعها دفعة قوية أسقطتها أرضاً، فزحفت خلفه، لكنها لم تتمكن من اللحاق به.

تكورت على نفسها باكيةً على الأرض بجوار الباب، الذي صفعه شهاب خلفه. وعصفت الأفكار برأسها، فلم تشعر بالدماء، التي انفجرت من ركبتها من وقع سقوطها، ولم يكن أمامها سوى الاتصال بأسامة، الذي عجز عن تفسير ما تقوله، فتوجه لتوه إلى منزلها ظناً منه أنه تم الاعتداء عليها.

في خلال خمسة وعشرين دقيقة، كان أسامة وصل إلى سوزان، التي حملت جسدها بصعوبة لتقف، وتفتح له الباب، فحملها ومددها على كنبة قريبة من الباب، وركع على قدميه بجوارها، ولاحظ دماء الجرح في ركبتها، فعاينه سريعاً ليكتشف أنه سطحي، فتناساه، وسألها بقلق عما حدث، وهو يربت على كتفها بحنو لم تعتده منه.

قصّت عليه بصوت متهدج ما حدث لها منذ صباح هذا اليوم، وحين عرف رد فعل شهاب، استشاط غضباً:

- الجبان سابك وجري، ده طلع...
- أرجوك مش وقته، لازم نشوف حل للي احنا فيه ده.
- معاكي حق، المطبخ منين؟

أشارت إليه بمكان المطبخ، وأرادت أن تصحبه إلى هناك، لكنه طلب منها أن تستريح ريثما يقوم بمعاينة سريعة. كانت الرائحة في المطبخ مقززة، إذ امتزجت رائحة اللحم المشوي بالدماء، مما دفع أسامة إلتكميم أنفه بيده، واشمأز كثيراً من مظهر الكلب المخوزق في الفرن.

ولاحظ ورقة بيضاء ملقاة على أرض المطبخ، فتناولها بمنديل وقرأها، وتحرك إلى البوتاجاز متقززاً، وأخرج من تحته علبة سوداء مماثلة لتلك، التي وجدتها سوزان في الكيس الأسود، الذي كان ابنها فيه، لكن هذه المرة كانت تحتوي فقط على مشرط.

عاد أسامة إلى سوزان، ووضع على منضدة قريبة الرسالة والعلبة، وقال لها بحسم:

- دلوقتي لازم البوليس يتدخل.
- أنا عايزة ابني.
- متخافيش، ابنك هيرجعلك، وشهاب لازم يتربى.

في خلال خمسة وأربعون دقيقة، كان المنزل يضج برجال الشرطة والمعمل الجنائي، وتم استجواب سوزان بشكل رسمي من قبل ضابط آخر، فيما أشرف أسامة بنفسه على أعمال رفع البصمات، والكشف الجنائي.

-33-

في بيت أبيه، جلس شهاب مع أخته الوحيدة جيهان، التي تعيش وحدها في هذا البيت، وقص عليها ما حدث، عدا تفصيلة صغيرة، وهى المبلغ، الذي أودعته سوزان باسمه في البنك. كانا قد وضعا الطفل في غرفة مخصصة له في هذا المنزل الكبير. كانا في المطبخ، حيث قامت جيهان بإعداد الطعام للطفل، وأمرت أحد الخدمبأن يحضر ما يلزم من حفاضات وطعام الرضع. لم تكن جيهان تكن مشاعر حميمة لسوزان، لكنها ردت على ما قصه أخيها:

- ماكنش لازم تسيبها، ديّه مهما كان مراتك، وأم ابنك، وانت هربت وسيبتها.
- ماكنش ينفع أقعد معاها، واعرّض ابني للخطر.
- تفكير أناني، كان ممكن تاخدها معاك، وببساطة كان ممكن تسافروا بره بعد كده لغاية ما الموضوع يهدا، أو حتى ماترجعوش تاني.
- كان معاكي حق، ماكنش لازم اتجوز واحدة زيها.
- مش وقته دلوقتي الكلام ده. أنا هتصل بيها.
- لأ!
- لازم نطمن عليها، وهى كمان من حقها تطمن على ابنها.
- مش دلوقتي، لازم أشوف هعمل ايه الأول.
- عشان خاطري يا شهاب.

- ولو جبتي السيرة ديّه تاني هاخد طارق، ونمشي من هنا.

ولأنها كانت تعرف أسلوب أخيها الطفولي، قررت ببساطة أن تحدث سوزان سراً حين تتاح لها الفرصة.

-34-

تم إصدار الأوامر بالتحقيق مع كل من شهاب المطيعي وسامح نجم، لكن أسامة تدخل لكي لا يتم استدعاء مروان الطحان، الذي وعده بالحماية، فأوفى بوعده.

فوجئت جيهان بعسكري يطلب أخيها للمثول في قسم الدقي للتحقيق معه، أما شهاب، فاستقبل الخبر بسب زوجته بأقذع الشتائم، وتوعد بأن يحيل حياتها جحيماً هى وأسامة.

رفض شهاب أن تصحبه جيهان إلى القسم، وعندما اقترحت عليه بأن يصطحب الأستاذ محمود صبحي، محاميالعائلة معه، رفض الفكرة تماماً مؤكداً أنه ليس بحاجة لمحام متعللاً بأنه ليس متهماً في شيء.

كانت الشمس غابت تقريباً حين وصل شهاب إلى قسم الدقي، ودخل غرفة التحقيق، حيث وجد أسامة جالساً بعظمة مبالغ فيهاعلى مكتبه، وعلى يساره عسكري يكتب في دفتر.

- اتفضل اقعد يا باشمهندس.

جلس شهاب، وعينيه يتطاير منها الغضب:

- خير، أنا هنا ليه؟
- مش عارف؟
- منكم نستفيد يا حضرة الظابط.

قالها بتهكم، وهو يرمق أسامة، الذي بدا هادئاً مما استفز شهاب أكثر، ورد أسامة:

- بص أنا ممكن أحطك في الحبس بتهمة الاعتداء على مراتك، إيه رأيك؟ خلينا صحاب أحسن.

انفجر فيه شهاب:

- انت مش عارف انت بتكلم مين؟

ضحك أسامة مشوحاً باستهزاء، ثم ضغط على زر على مكتبه، فمثل أمامه عسكري طلب منه بسخرية ليموناً لشهاب، ثم قال لشهاب بنبرة جاهد أن تبدو صادقة:

- أنا عايز أساعدك، بس للأسف، فيه أدلة كتير جداً، وأنا شكيت فيك من أول لحظة، أنا بكلمك بوضوح عشان خايف على مصلحتك.
- يا سيدي شكراً.
- مفيش بصمات، ومفيش آثار كسر على أي باب أو شباك، ومفيش حد معاه مفاتيح البيت غيرك انت وسوزان، تفتكر اللي دخل البيت دخله ازاي؟
- أسلوب رخيص أوي على فكرة.
- ممكن نحطك كام يوم في الحبس لغاية ما تتعلم ترد، بس انا عامل خاطر لسوزان.
- الـ****** بقا ليها خاطر.
- وآدي كمان تهمة سب وقذف.

وضحك أسامة، وهو يراقب بهدوء شهاب، الذي يتميز غيظاً أمامه، وأكمل ضاحكاً:

- بهرّج معاك يا أبو طارق.
- ماتجيبش سيرة ابني على لسانك.

دخل العسكري حاملاً الليمون، ووضعه أمام شهاب، الذي في ثورته أطاح بالكوب، فأمر أسامة العسكري بالانصراف، ورفض سؤال العسكري بالتنظيف، ثم عاد لشهاب:

- ما تتلم وتسترجل كده، وبلاش تصرفات العيال ديّه.

انتهى التحقيق بحبس شهاب أربعة أيام، واضطر الأخير إلى أن يستدعي محامي العائلة، مهدداً أسامة بأنه سيطالبه بتعويضات كبيرة، و"سيخرب بيته" حال تظهر براءته.

-35-

بالرغم من تحذيرات أسامة، ووعده لسوزان بأن يعيد إليها طارق بنفسه، إلا أن غريزتها كأم دفعتها إلى أن تتوجه في الساعة الحادية عشرة من هذا اليوم إلى منزل عائلة شهاب.

هناك استقبلتها جيهان بوجه حزين وعينين دامعتين، حاملةً طارق بحرص ينم عن جهل في التعامل مع الأطفال في مثل هذه السن.

سلمت جيهان الطفل إلى أمه دون تفكير، وكأنها استراحت بالتخلص من المسئولية الصعبة أخيراً، فتناولته سوزان بلهفة، وأمطرته بسيل من القبلات، وسارتا صامتتين حتى جلستا بوجوم، وأخيراً قطعت جيهان الصمت:

- انا عارفة شهاب، فيه عبر الدنيا، بس كده يا سوزي؟ أخرتها يبقى متهم في القسم؟ شهاب مايقدرش يدبح فرخة.

لم تكن كلتاهما على وفاق، لكن حين سلمت جيهان الطفل دون تردد لسوزان، شعرت الأخيرة بارتياح مفاجئ تجاهها، وكذلك سيطر عليها تأنيب من ضميرها:

- أنا عارفة، والله عارفة، احنا حتى كنا رمينا كل مشاكلنا ورا ضهرنا، وكنا مقررين نبتدي بداية جديدة، لكن اللي بيحصل ده مش منطقي، وكان لازم البوليس يتدخل عشان يحمينا، يحمي طارق بالذات.

انفجرت الدموع من عيني جيهان، فاقتربت منها سوزان، واحتضنتها بحنو، بعد أن أراحت طارق على أريكة قريبة، وأكملت:

- صدقيني ماكنتش متخيلة إنهم يتهموا شهاب، نفسي الكابوس ده يخلص.

ودار بينهما حديثاً طويلاً استغرق قرابة الساعة، قررتا فيه الخطوات الواجب اتخاذها، وعلى رأسها متابعة محامي العائلة، الذي بعثت به جيهان مسبقاً إلى القسم، ووعدت جيهان باحتواء شهاب حين يخرج من حبسه، وأن تعمل على إعادة المياه إلى مجاريها بين الزوجين بكل طاقتها، وأخيراً استأذنت سوزان في الانصراف، فألحت عليها جيهان بأن يبيتا سوياً، لكن سوزان آثرت الرحيل.

وقبل أن تخرج سوزان، همست بصوت بائس:

- لو جرالي حاجة، طارق أمانة في رقبتك، مش هثق في حد غيرك يربيه.

وعادت سوزان لبيتها، ومعها ابنها.

-36-

**اليوم السابع.**

أصبح وجود سامح نجم في بيت حنان عبئاً ثقيلاً عليها، وكانت على شفا أن تطرده، لكنها أصرت على المضي قدماً في تنفيذ خطتها، التي تتلخص في إيداع سامح إحدى المصحات، التي يعمل فيها أحد أصدقائها طبيباً. كانت حنان قابلت هذا الطبيب، الذي رحب بمساعدتها، وأعطاها منوماً طلب منها أن تضعه في عصير تقدمه لسامح، وحين يفقد الوعي، يأتي بصحبة اثنين من الممرضين الأشداء لحمله إلى المصحة الشبيهة بسجن قذر، هناك يتم حبس ضحايا الإدمان في غرف صغيرة مربوطين إلى سرائرهم، ويتم التعامل معهم بفظاظة وغلظة حتى ينحسر تأثير المخدر من أجسادهم، وبعدها يتم نقلهم لمكان أكثر إنسانية،حيث يتلقون علاجاً نفسياً وتأهيلاً مدروساً يمكنهم من التخلص من الإدمان، وبدء حياة جديدة. وكانت ساعة الصفر في الواحدة من بعد ظهر هذا اليوم.

-37-

كانت الساعة جاوزت العاشرة صباحاً، حين فوجئت سوزان بجرس منزلها يرن دون انقطاع، فدب القلق في قلبها، وتوجهت إلى الباب بقلق، وهى تحمل سكيناً خلف ظهرها، لكن حين نظرت عبر العين السحرية وجدت أسامة واقفاً باضطراب.

فتحت سوزان الباب، فدخل أسامة وباغتها:

- وصلتني رسالة من دهار.

ذهلت سوزان، وقبل أن تنطق، ناولها أسامة ورقة بيضاء مطوية بعناية، ففتحتها بتوتر، لتجد رسالة جديدة:

" كان دورك جاي يابو دبابير،

بس انت استعجلت...

أبشرك، هتدفع التمن زيك زي الباقيين.

دهار"

تبادل الإثنان نظرات قلقة، وسألت سوزان، وهى تعيد الورقة لأسامة:

- انت لقيت الورقة ديّه فين؟

- على الكومودينو جنب سريري لما روحت إمبارح بالليل.

اتسعت عينا سوزان بذهول، فأكمل أسامة:

- ما حدش بيخش شقتي غير مرات البواب عشان تنضف... ما اعرفش دخل ازاي، الباب مقفول بمفتاحين، والشقة في الدور التمنتاشر، ومفيش أي أثر لأي اقتحام.

- عفريت يعني؟

- ما اعرفش.
- هو قصده إيه بالباقيين؟
- أكيد انتى و غالباً لينا.
- انتم ماعرفتوش أي حاجة عنها؟
- لأ كأنها فص ملح وداب.
- بس الجواب ده معناه إن شهاب ملهوش علاقة باللي بيحصل، لأنه محبوس!
- لأ طبعاً، أكيد شهاب هيكون مأجر حد.
- طب لو كده إيه علاقة لينا بالموضوع؟ شهاب تقريباً مايعرفهاش.
- مش قادر ألاقي علاقة.
- هو إيه اللي بيربطنا أنا وانتى ولينا؟
- فيه نظرية في دماغي.
- ايه هى؟
- الشخص ده بيحاول ينتقم.
- ينتقم مننا ليه؟
- فرح.
- فرح مين؟
- فرح أخت لينا الله يرحمها.

طاف أمام سوزان شريط لذكرى ليلة سوداء انزلق فيها إصبعها على الحقنة لتضخ في شريان فرح جرعة زائدة من المخدر، وتفارق الحياة بين يديها... وبصعوبة خرجت الكلمات من فم سوزان:

- لو ده مظبوط، يبقا مروان وسامح كمان معانا، بس انت مالك بالموضوع ده؟
- أنا ماعملتش شغلي يا سوزان، أنا ساعدتكم تخبوا الجريمة، أنا شريك ليكم.
- وحتى لو كلامك صح، مين هينتقم لفرح بعد السنين ديّه كلها؟ وليه ما قتلناش ببساطة؟
- أنا بشك في مروان الطحان.
- اشمعنى مروان بالذات؟
- عشان مازوخي.
- منطقي.
- ده مجرد شك، مش هاقدر أقبض عليه، بس هشدد المراقبة عليه، ولازم أوصل لسامح قبل ما يوصله، ده لو ماكنش وصله أصلاً.
- طب وشهاب؟
- هامشي معاه الإجراءات عادي خالص، هو عموماً هايخرج بكفالة بس برضه أنا زي ما قلتلك شاكك فيه. ممكن يكون بيعمل ده كله عشان لما يقتلك ماحدش يتهمه. هوّ عارف موضوع فرح صح؟

نبشت سوزان في ذاكرتها:

- آه عارفه!

وصمتا قليلاً، فأكملت سوزان:

- بس ليه مروان، مهما كان له ميول غريبة زي ما انت بتقول، يقرر ينتقم لفرح؟

- يمكن كان بيحبها!
- طب وليه مش أهل فرح أو حد تاني؟
- ما حدش يعرف حقيقة الموضوع غيرنا.
- وليه ما شكتش في لينا، بالأخص إنها مختفية؟
- تحرياتي عن لينا بتأكد إنها مشغولة بحياتها، وبعدين ديّه معيّطتش أصلاً على أختها! على فكرة أهلها مكلمين الوزير شخصياً والداخلية مقلوبة عليها، فكده كده حتى لو ليها علاقة بالموضوع هايبقى خير وبركة لأن البوليس كله بيدور عليها.

وتنبه أسامة لعودة طارق، فعاتب سوزان على تصرفها دون الرجوع إليه.

-38-

لم تكن لينا تدرك أنها قضت أسبوعاً واحداً فقط في غرفتها البيضاء، فقد كان الوقت يمر ثقيلاً كدهر لا ينقضي، وبما تبقى في رأسها من عقل حاولت أن تفسر كلمات الشبح لها، وربطت الأمر بموت فرح، لكنها استبعدت الفكرة تماماً بالأخص أنها لم تكن فعلياً تكترث لها، حتى أنها تذكر أنها ذرفت بعض الدموع كمجاملة للموقف، ولكي تدفع أي شك عن حقيقة ما حدث، وكالعادة كانت الأصوات الغريبة تعود من حين لآخر كي تمنعها من النوم، لكن ليس بنفس الكثافة السابقة، لكنها لم تميز أن أوقات الهدوء ازدادت، فيما تخرج أدراج الأرز من حين لآخر، فتأكل أحيانا، وتعزف عن الطعام أحياناً أخرى.

وفيما هى تفكر في فرح وتلعنها، سمعت صوت الضحكات الشيطانية المعتادة، لكن هذه المرة كان لها تأثير عجيب عليها، فانكمشت مرتجفة، وأخذت تصرخ، وهى تلاحظ شبحاً دخانياً يتكون في الهواء أمامها، وفقدت السيطرة على نفسها فسرى بولها، وهى تميز أمامها ملامح قديمة لفتاة، ملامح فرح، التي أخذت تقترب منها، وبدأ الدود يخرج من أنفها وعينيها وصرخت فجأة فاتحةً فمها محدثة صوتاً رهيباً قادماً من أعماق الهاوية، فانهارت لينا فاقدةً الوعي.

-39-

سارت خطة حنان والطبيب بدقة شديدة، فتناول سامح العصير ببساطة، وما هى إلا دقائق وفقد وعيه، حينها اتصلت حنان بالطبيب، الذي كان في سيارة قريبة من منزل حنان منتظراً إشارتها، بصحبة رجلين قويي البنية. وما هى إلا دقائق، وكان جسد سامح محشوراً بين الممرضين، ضخمي الجثة، فيما انطلق الطبيب بالسيارة، في طريقهم إلى السادس من أكتوبر.

استغرقت الرحلة بالسيارة أقل من ساعة، بعدها بدأ سامح يفيق، ووجد نفسه مكبلاً بسلاسل حديدية إلى سرير حديدي في غرفة قذرة، فاستجمع قواه، وأخذ يحاول أن يتخلص من قيوده، لكن عبثاً كانت محاولاته، فأخذ يصرخ، لكن لم يجبه سوى الصمت، وحين بدأ يهدأ، تخيل ما حدث، فأخذ يسب حنان ناعتاً إياها وأمها بأبشع الشتائم، متوعداً بقتلها حين يخرج.

-40-

## اليوم الثامن

منذ لقائها الأخير بأسامة، تضاعف خوفها، فلو كان هذا الـ "دهار"،الذي قفز لها من ماض ظنته صفحة طويت إلى الأبد، قادراً على تهديد ضابط شرطة، بل واقتحام بيته، دون أن يترك أي أثر، كما لو كان شبحاً، فهو على الأقل ليس مبتدئاً، ولأن أسامة نفسه بدا قلقاً، فلم يعد يمثل بالنسبة لها الحصن، الذي تحتمي به، فهذا الحصن، الذي كان أملها الوحيد في الحماية أصبح مهدداً، وأخذت تعيد مراراً وتكراراً أحداث الليلة الأخيرة في حياة فرح علها تجد حلاً للغز، لكنها لم تهتدي لشيء عدا استنتاج بأنه ربما كشف أحد المشاركين في تلك الليلة السر لشخص ما.

لكن قلقها تزايد حين تلقت اتصالاً هاتفياً من أسامة في صباح هذا اليوم بصوت قلق يخبرها بأنه اكتشف اختفاء فيديو سجله على قلم يحمل كاميرا تجسس استخدمه لتسجيل اعترافات مروان الطحان بعلاقاته المشبوهة مع شخصيات ذات وزن كبير في المجتمع المصري، وقد يؤدي هذا الفيديو لكارثة حقيقية في حال نشر على الملأ!

وحين سألته سوزان عن سبب تسجيل هذا الفيديو، ارتبك، وقال لها إنه أراد أن يمسك على مروانذلة يمكنه من خلالها أن يساومه لو اتضح أنه متورط فعلاً في تهديدها، لكنها لسبب ما لم تصدقه، وتخيلت أسامة في صورة ضابط الشرطة المرتشي، التي تظهر مراراً على الشاشة، لكنها نبذت تلك الفكرة، فأسامة

من عائلة ثرية أصلاً، والتحق بالشرطة ليحقق الارتباط المقدس بين المال والسلطة، وعموماً فكونه مرتش ليس مشكلتها فهو ما يزال في صفها، وسيبذل مجهوداً مضاعفاً بالأخص بعد أن أصبح هو نفسه مهدداً من قبل نفس المجرم.
في نهاية الاتصال، أخبرها بأن شهاب سيخرج في الغد على أقصى تقدير، وأنه- أي أسامة- سيمر عليها اليوم ليسلمها مسدساً، فرفضت، لكنه لم يأبه برفضها، وحدد الساعة السادسة ليمر عليها.

-41-

كان مروان الطحان قابعاً في غرفته في بيته ينتظر مصيره المجهول، كان استقر على تصفية أعماله، والسفر من مصر إلى الأبد، بدت له فكرة الهجرة والعيش في أحد الجزر العذراء في الكاريبي فكرة رومانسية جميلة لا يعكر صفوها سوى خوفه من تسريب أسامة للمعلومات، التي حصل عليها منه، لو حدث هذا،فلن تحميه المسافات من انتقام "الكبار" الغاشم.

لكنه، وبعد أيام من العزلة في منزله، قرر أن يخرج للقاء مدير أعماله تمهيداً لتصفية أعماله، والاعتذار عن الأعمال، التي اتفق عليها مسبقاً، وفيما هو يفتح باب شقته، لاحظ مظروفاً أبيض يبدو أن أحدهم ألقاه من تحت عتبة الباب، واحتوى المظروف على رسالة مكتوبة على الكومبيوتر بالخط الأسود:

"الحياة قصيرة، من حقك تعيشها بالطول والعرض،

لكن من غير ما تإذي حد...

هتدفع التمن، وبعدها هتتطهر...

التمن من جنس العمل، وبيتهيألي هتستمتع!

عملك الإسود:

دهار"

كاد مروان أن يفقد عقله، وهو يعيد قراءة الرسالة، وأخذ يهذي طويلاً بلعنات، متعجباً من الرسالة، ومن ذلك الاسم العجيب،الذي مهرت به الرسالة! من هو هذا عمله الأسود؟ ربما يكون الأمر مجرد مزحة، أو تكون تلك الرسالة وصلته عن طريق الخطأ..احتمالات لا حصر لها جابت رأسه، ووجد ما يدفعه للاتصال بأسامة، الذي وعد مسبقاً بأن يحميه بالأخص

أنه تذكر ما قاله له الأخير عن رسالة التهديد، التي تلقتها سوزان مسبقاً، وبالفعل اتصل به، فأجابه بصوت مكتئب، واتفق معه أن يأتي إلى بيته، لكن بعد نهاية المكالمة، ندم ليس فقط لتوجسه من شخص أسامة، لكن أيضاً نبرة أسامة البائسة بثت فيه شعوراً بأنه ربما التجأ لحائط مائل أصلاً.

لم يفت وقت طويل، حتى حضر أسامة، كانت هيأته بعيدة تماماً عما اعتاده مروان فيه من عنفوان، وثقة لا حدود لها بالنفس.

قرأ أسامة الرسالة، ثم أعادها إليه:

- تقرير المعمل الجنائي مش هيلاقي أي بصمات.
- أنا مش عايز شوشرة بس إيه اللي خلاك تقول كده؟
- عشان ما لقيناش أي بصمة أو دليل على الرسايل اللي جت لسوزان.
- هى جتلها رسايل تاني؟
- والكلب بتاعها اتشوى في الفرن زي الشاورمة!

بُهت مروان:

- مين ابن المجنونة ده، وعايز إيه؟
- بيتهيألي إنه عايز ينتقم لفرح!
- فرح أخت لينا؟
- بالظبط.
- بس الموضوع ده كان من سنين، أنا كنت نسيته.

- واضح إن فيه حد ما نسيهوش!
- تكنش لينا؟ طول عمرها طاقة ومجنونة.
- لينا مختفية من حوالي أسبوع، وملهاش أثر، غالباً مخطوفة.
- أمال مين؟
- انت قولت لأي حد على الموضوع ده؟
- لأ طبعاً.
- أنا كنت متخيل انه انت.
- ودلوقتي؟

نظر إليه بنظرة احتقار:

- برضه ممكن تكون انت، ممكن الجواب ده يكون تمويه!
- وانا هعمل كده ليه؟
- نفس الميول السادية الوسخة!
- بس عمري ما تخيلت اني اقتل حد، ولا إني أشوي كلب!
- قولي انت ناوي تعمل ايه؟
- هسافر للأبد.
- طب وايه اللي مانعك؟
- المعلومات اللي انت أخدتها.

ندت من أسامة ابتسامة بائسة رغماً عنه:

- سافر أحسنلك.
- هو انت مالك النهارده؟
- أنا كمان وصلني جواب زيك انت وسوزان.

- يعني كلنا في الهوا سوا؟
- آه!
- وليه أصلاً فكرت في فرح؟
- لأن الرسايل بتاعة الشخص ده كلها وراها فكرة الانتقام، مين هيكون عايز ينتقم مني ومن سوزان، ومنك دلوقتي؟ احنا مفيش مصيبة تجمعنا غير الموضوع ده.
- وسامح نجم؟
- كان في الساحل، وبعدين اختفى من كام يوم، هو عموماً عليه عيون عشان هو ديلر وقريب هنجيبه، ده لو ماكنش هو وصله أصلاً. فيه معلومات بتقول إنه نزل القاهرة، مسألة وقت وهنوصله.
- بص انا ماليش دعوة بده كله، أنا هامشي واسيب كل القرف ده ورايا، أنا عايز أعيش.
- حد ماسكك؟ خلي البلد تنضف.

ولمعت عينا أسامة كذئب مسعور فجأة:

- عارف لو طلعت ورا ده كله.

-42-

استفاقت لينا، لكنها كانت خائفة من أن تفتح عينيها، وأخذت الدموع تنهمر من عينيها المغمضتين، أما الأصوات المعتادة، فكانت سكنت تماماً حتى حل محلها طنين في أذنيها، حتى بدأت الضحكات المعهودة منبئةً بحديث جديد:

- تحبي تنتقمي لأختك؟

تذكرت لينا وجه أختها والدود يخرج منه، فصرخت:

- كفاية... كفاية.
- كفاية إيه؟
- عايزة أخرج من هنا.
- خلاص قربتي تخرجي، بس قبل ما تخرجي لازم تعرفي انتى عايزة تنتقمي لأختك اللي ماتت بين ايديكي، وتخلصي من ذنبها ولا لأ؟

صرخت لينا:

- لو هانتقم لازم انتقم من نفسي الأول.
- كده ابتدى يرجعلك الإحساس، عموماً انتى قربتي تخلصي التمن اللي المفروض تدفعيه... ومتنسيش انتى اللي طلبتي ده.

جالت أسئلة كثيرة بذهن لينا المرهق، لكنها لم تقو على طرح أي منها، وهكذا صمت الصوت،وأخذت صورة أختها، وهى ترتجف رجفات الموت تغزو خيالها، ولأول مرة تشعر بالغضب والحسرة لأنها تركت أختها تموت، أو للدقة لأنها كانت السبب الأساسي في موتها.

-43-

حوالي الساعة السادسة والثلث مساءً، سلم أسامة لسوزان مسدسا نسائيا صغيرا، وشرح لها، باقتضاب، كيفية استعماله. حاولت أن ترفضه، لكن أسامة أصر على أن تأخذه، وطلب منها أن تبقيه قريباً منها، وأن تستعمله وقت الخطر، وطمأنها ببرودعلى أنها حتى لو قتلت أحدهم، فلن يعاقبها القانون إذا كانت في حالة دفاع عن النفس، وقبل أن يذهب، حذرها من أن شهاب سيخرج في هذه الليلة، بعد أن أتم الإجراءات اللازمة لعدم وجود أدلة كافية ضده.

كان للمسدس في يديها ملمس غريب، بارد، ثقيل، بالرغم من صغر حجمه، وكأن وزنه من عالم آخر، وسرحت بعقلها متأملة آلة القتل، التي أصبحت ملكاً لها، ولو مؤقتاً، فسرت في جسدها قشعريرة لذيذة هى مزيج بين النشوة والقوة. للسلاح هيبة، بالأخص في أول مرة تحمله الأيدي. من أين أتى أسامة بهذا المسدس الصغير، الذي يبدو لوهلة مجرد لعبة؟ هل هو جديد؟ هل هو حرز استطاع أسامة الحصول عليه بطريقة ما؟ هل اشتراه لها خصيصاً؟ والأهم هل خرجت إحدى طلقاته سابقاً مصيبةً إنساناً في مقتل؟ هل بالرغم من صغره يمكنه أن يقذف بإنسان إلى الموت؟ أم فقط يصيبه بجرح؟

بالرغم من أن طفلها كان يبكي قريباً منها، إلا أن صوت خيالها كان أعلى، وأخذت عيناها تلمعان كقمر مكتمل في سماء دامية، "حتى لو قتلتي حد، القانون مش هيعاقبك طالما بتدافعي عن نفسك".

فقط لو سنحت لها الفرصة المواتية، يمكنها أن تتخلص من أحدهم، حتى ولوكان بريئاً، يمكنها فقط أن تطلق رصاصة واحدة في رأسه أو ربما فيما بين قدميه! ربما شاء القدر أن يمنحها فرصة نادرة.

وقررت أن تعيد طارق إلى عمته جيهان بحجة أنها خائفة عليه من بقائه معها، وهى تحت التهديد، وارتسمت في رأسها فكرة شيطانية.

-44-

قبل منتصف الليل بقليل، شق سكون الليل انفجار مدو أصم أذني سامح نجم، الذي اجتاحه خوف عجيب، وشعر بحرارة تسري في الهواء المحيط به، وما هى إلا لحظات، وتعبقت غرفته بدخان كثيف، فأخذ يسعل وجسده المربوط في السرير يرتج صعوداً وهبوطاً حتى كاد يختنق من الكحة.

من وسط الدخان، ميز بصعوبة خيال إنسان يقترب منه، إنسان يرتدي قميصاً أسود وبنطالاً من اللون نفسه، فتخيل أن أحد العاملين قادم لنجدته، ورسم في عقله خطة سريعة للهروب من هذا المكان حين تحل قيوده، لكن حين اتضحت الرؤية قليلاً، أخذ يرتجف، وأزبد فمه، وظهر له وجه أبيض، بل قناع مرعب على وجه لابس السواد. مرت لحظة طويلة، وهو يراقب صارخاً بائساً مصيره، الذي انقض عليه بخفة مكمماً فمه بقماشة مبللة بمخدر حتى استكان جسده.

-45-

**اليوم التاسع.**

استيقظ سامح، وكانت كل خلية في جسده تصرخ من ألم مبرح، كان يحتاج بشدة إلى جرعة، كان لعابه سائلاً وأنفه أخرج مخاطاً استشعر طعمه في فمه. لم يكن في حالة تسمح له بأن يحدد وضعه، في الواقع كان مستلقياً على مرتبة قذرة موضوعة على أرض غرفة صغيرة بلا نوافذ، لكن لها باب واحد، وبجوار المرتبة دلو معدني. كانت قدماه مقيدتين بسلسلة حديدية إلى وتد مثبت في الحائط المقابل للباب بحيث لا يسمح له قيده بأن يصل للباب أبداً.

سمع طرقتين على الباب الخشبي، تلتهما ضحكات متقطعة، ثم ولج من الباب ذلك الشبح الأبيض نفسه، الذي رأته لينا سابقاً– دهار– بشحمه ولحمه وقناعه بالطبع! أدرك سامح وجود دهار، لكنه لم يتبينه تماماً، وأخذ يصرخ طالباً جرعة من المخدر، متعللاً بأنه يموت، محركاً يديه، اللتين كانتا بلا قيد، في يأس. اقترب منه دهار، وأمسك يد سامح بقوة رهيبة عصرتها، ولف عليها خرطوماً مطاطياً كالذي يستخدمه الأطباء– أو المدمنون– للوصول إلى وريد،ثم غرس في العرق النافر حقنة أفرغ محتواها، فسرت في جسد سامح حالة خدر، وهدأ، أما دهار فوقف يراقب وجه سامح المنتشي، ويضحك بصوته الجهنمي.

-46-

بالرغم من صراخ سامح، فإن لينا، التي كانت محجوزة في غرفتها البيضاء على بعد أمتار من غرفة سامح لم تكن تتخيل أن ذلك الصراخ حقيقي، ظنته أحد تلك الأصوات، التي تسمعها من حين لآخر فلم تعبأ به، لكن بعد توقف صراخ سامح، كان صوت دهار جلياً بعد أن بدأه بوصلة من الضحكات:

- من النهارده مفيش رز... لازم تتغذي، الوقت قرب! انت بقالك هنا أسبوع بالمناسبة.

وخرج درج الأرز – سابقاً– وعليه هذه المرة دجاجة كاملة وبطاطس محمرة ورغيف.

- انسي الرجيم!

شعرت لينا بنوع غريب من الفرحة، وابتسمت فيما أظافرها تداعبان شعرها، وتنغرسان في وجهها محدثة جروحا إضافية، لكنها لم تشعر بأي ألم، فقط ذاقت طعم دمائها مستمتعةً به، وببطء توقفت عن جرح نفسها، وأخذت تتشمم رائحة الطعام، ثم هجمت على الفرخة تأكلها بكلتا يديها، وأجهزت عليها، ثم أخذت تقبض على البطاطس، وتعبها في فمها، وأخيراً حشرتها بقضمات كبيرة من رغيف الخبز، فأكلته كاملاً في أربع قضمات.

-47-

على سيرة الطعام، جلست سوزان وحيدة في أحد مطاعم فندق شهير يطل على النيل– هو الأعلى سعراً– أما وجبتها، فكانت تتكون من مربى وزبدة، وبيض وخبز. كانت أعادت طارق البارحة إلى جيهان في ساعة متأخرة من الليل، وعللت هذا بأنها خائفة عليه من وجوده معها، وهى تحت التهديد، وكذلك اتقاءً لشر زوجها شهاب.

كانت تأكل ببطء، ووجدت لذة نستها منذ وقت طويل في الطعام، فتتمهل وهى تفرش الزبدة على الخبز، ثم تفرش طبقة من المربى وتتلذذ، وبجوار أطباق الطعام، كانت هناك علبة سجائر وولاعة، كانت اشترتهما وهى في طريقها إلى الفندق. منذ سنوات كانت توقفت عن تعاطي المخدرات، وحتى عن التدخين، لكنها لم تعد، كما كانت،أعطاها المسدس– الذي كان مختبئاً في حقيبتهادون أن يجرؤ أمن الفندق على تفتيشها لأنهم يعلمون قدرها في المجتمع– روحاً جديدة مختلفة عن الانهزامية، التي سيطرت عليها منذ سنوات، حين راقبت فرح تفارق الحياة بين يديها. لقد قتلت سابقاً دون قصد، وستقتل مرة أخرى، الآن،مع سابق الإصرار والترصد، لكن هذه المرة تحت مظلة القانون الأعمى، الذي يكفل لها الدفاع عن النفس.

انتهت من الطعام، وأخرجت باشتياق سيجارة، لكن قطعت نشوتها رنة رسالة على هاتفها من جيهان تخبرها بأن شهاب عاد إلى المنزل، فردت عليها برسالة طلبت منها أن تحادثها هاتفياً حين تسنح لها الفرصة بعيداً عن شهاب.

وبينما هى تنفث الدخان، تخيلت روح شهاب، وهى تفيض من جسده كدخان يتبعثر في الهواء، وطلبت الحساب متعجلةً العودة إلى المنزل لتعد العدة لمسرح جريمتها المرتقبة.

في طريقها إلى المنزل، اتصل بها أسامة على هاتفها، شعرت بعبء ثقيل وهى ترد عليه:

- أسامة، فيه جديد؟
- جتلك البيت أنبهك إن شهاب طلع من القسم بس مالقيتكيش، انتى فين؟ انتى كويسة؟
- حسيت بإنى مخنوقة، فقولت أخرج شوية.
- طيب لازم أقابلك، أستناكي جنب البيت؟

لم تكن ترغب في لقائه، ليذهب هو ودهار إلى الجحيم، لكنها أذعنت لطلبه تجنباً لأي شبهة حين تتم خطتها:

- بلاش في البيت، عارف كافيه "..." اللي عالنيل؟
- آه طبعاً.
- أنا جنبه، قابلني هناك، أنا ربع ساعة بالكتير، وأكون هناك.
- ماشي، مش هتأخر.

-48-

لأن اليوم هو الإثنين، كان الكافيه شبه خال في تلك الساعة من الصباح، وبسهولة وجد أسامة سوزان جالسةً تحتسي عصيراً أزرق اللون. بدا قلقاً وهو يسلم عليها، فيما مثلت هى البؤس، وهى تشعل سيجارة بقلق، فنظر لها باستغراب:

- كنت فاكرك بطلتي، وفين طارق أمال؟

تخيل أسامة أنها تكاد تبكي:

- مش قادرة أستحمل اللي انا فيه، أنا رجعت طارق لجيهان أخت شهاب، قولت أتقي شره، وبعدين مش هينفع يبقى معايا، وانا في الظروف ديّه.

هز رأسه باستسلام:

- سامح اختفى.
- مهو كان مختفي أصلاً.
- صح، بس دلوقتي الموضوع اتغير.
- ازاي؟
- لما نزل مصر راح لواحدة صاحبته، المهم البت ديّه غدرت بيه وودته مصحة.
- وهو هرب من المصحة؟
- لأ، حصل امبارح قرب نص الليل انفجار مش عارفين سببه لغاية دلوقتي في المصحة، وفي وسط الفوضى اختفى.
- هرب.

- ماينفعش يهرب من نفسه لأنه كان مربوط في السرير بسلاسل حديد!
- أمال ايه اللي حصل؟
- فيه حد من المرضى بيحلف إنه شاف شيطان شايل واحد وبيجري بيه!
- شيطان؟
- هوّ بيقول كده، بس طبعاً ده مدمن، والكلام اللي بيقوله مشكوك فيه.

لم تكن سوزان مهتمة بما يقوله أسامة، لكنها لم تكن تملك سوى أن تجاريه:

- يعني كده، أنا وانت متهددين، وسامح ولينا مختفيين.
- ومروان كمان.
- ماله مروان؟
- جاله جواب تهديد من الزفت اللي مسمي نفسه دهار.

كان لذكر "دهار" أثر مرعب في قلب سوزان انتزعها من أفكارها الإجرامية، ودفعها مرة أخرى إلى القلق من ذلك المجهول:

- يعني دهار ده هو اللي خطف سامح؟
- ما اعرفش... ما اعرفش.

-49-

قبل منتصف النهار بقليل، كان شهاب في طريقه خارجاً من القسم. رفض عرض محاميه بتوصيله إلى المنزل، وفضل أن يأخذ تاكسي. كانت حالته يرثى لها، ذقنه كئيبة، وجسده التصق بملابسه، التي كانت قذرة لدرجة أثارت اشمئزازه شخصياً، بالرغم من علاقاته، فإن أسامة حال دون توفير أي من سبل الراحة له في محبسه، حتى أنه أمر بمصادرة الطعام، الذي كانت جيهان تبعثه إليه.

صدمت جيهان من هيأته أكثر من فرحتها بعودته، لكن قلبه اطمأن حين وجد طارق بين ذارعي جيهان، فألقى عليه نظرة طويلة، ثم توجه إلى الحمام، الذي كان بالنسبة له بمثابة حلم عزيز!

استغرق في الحمام أكثر من نصف ساعة عاد بعدها لهيأته الطبيعية، لكنه كان محطماً مكسوراً، ولم يكن يجيب على أسئلة أخته إلا بكلمات متقطعة مقتضبة، وحين جاء السؤال الحاسم عما سيفعله حيال سوزان، احمرت عينيه:

- بنت "ال...."، ليها حساب معايا بس بعدين.
- هى على فكرة جاتلي، وكانت هتموت من القلق عليك، وأنا اديتها طارق، وروحت بيه بس رجعتهولي.
- انت ازاي تعملي كدة؟ انت عارفة أنا لو كنت رجعت مالقيتش طارق كنت عملت إيه؟
- شهاب اهدى، العصبية ديّه مش هتفيد بحاجة!

- طبعاً العصبية مش هتفيد عشان كده أنا هفك براحتي قبل ما اتصرف و هيبقفيه حساب عسير بيني وبينها.
- ماتنساش إنها أم ابنك الوحيد.
- وودتني السجن هى والظابط "ال..." بتاعها ده، إن ما كنت أندمهم مبقاش أنا.

وصمت لحظة، ثم أكمل:

- وانتى اياكي تكلميها، ولّا تدخليها البيت، أو تسيبيها تشوف الولد، انتى فاهمة ولّا لأ؟

-50-

من ناحيتها، تخيلت سوزان ما سيحدث حين يجيء شهاب، إما سيكون بارداً، ويبادر بالسلام، أو سيكون حانقاً غاضباً طالباً للثأر، وكانت تتمنى أن يكون في الحالة الثانية، حينها ستسير الأمور بطريقة أكثر سلاسة.

وكانت خطتها تقتضي أن تفتح الباب لشهاب، ثم تبدأ في الصراخ بطريقة هستيرية كي يسمعها الجيران، ثم تعدو وكأنها تهرب منه، وتقوم ببعثرة بعض قطع الأثاث، وكأنه حدثت مشاجرة قوية، ثم تقوم بإطلاق النار عليه، وكانت قد خططت أيضاً أنها بعد أن تقتله ستقوم باستخدام أظافره لتحدث جروحاً بوجهها، وستقوم بطرح نفسها أيضاً على الأرض عدة مرات، وكأنه هو من أسقطها. هكذا أخذت تجوب مسرح الجريمة عدة مرات، وهى تتخيل كيف عليه أن يبدو حين تأتي الشرطة، وأعادت في ذهنها ما ستدلي به في المحضر، وحفظته عن ظهر قلب.

وحين شعرت باكتمال أركان خطتها، شعرت بنشوة كبيرة، أنستها التهديد الحقيقي لحياتها، وحتى ابنها لم يشغل أي حيز في تفكيرها أو في قلبها.

أما المسدس، فقررت أن تحتفظ به في يدها أو على الأقل قريباً منها أغلب الوقت.

-51-

**اليوم العاشر**

الأمل، شعور مريح، بل هو أحد أسرار الحياة، ومفعوله كالسحر، لكن بالنسبة للينا، التي لمست تغيرا في محبسها، بث فيها بوادر الأمل بالخروج سالمة، لم يكن الأمل وحده كافياً لإحداث تغيير حقيقي في نفسيتها، التي تشوهت بسبب الضغط، الذي تعرضت له في الأيام السابقة. كانت نائمة متكورة على نفسها في جلبابها الأبيض، الذي تلوث بدماء جراحها، التي سببتها بطريقة لا إرادية لنفسها في وجهها وعنقها، وصدرها، مستخدمةً أظافرها، حين سمعت صوت جلبة، فاستيقظت مفزوعة لتجد طاقة فتحت في سقف الغرفة، ونزل منها سلم حديدي شبيه بسلالم المطافئ، وأتى الصوت المعتاد صادراً من أعلى:

- اطلعي!

قامت متثاقلةً، لكنها لم تكن خائفة، في الواقع لم يعد الشعور عموماً يؤثر فيها بعد تجربتها في الغرفة البيضاء، وببطء ارتقت درجات السلم، وهى تنظر إلى الأعلى، حيث ظهر لها دهار بقناعه، لكنه كان يرتدي قميصاً وبنطالاً أسود، عوضاً عن الزي الأبيض المعتاد. فكرت في أنه في النهاية مجرد إنسان مهما أحاط نفسه بالغموض، وأقصى طموحه هو أن يعذبها أو أن يقتلها، لكن معنى الحياة صار أجوفاً داخلها.

حين وصلت إلى نهاية السلم، مد يده ذات القفاز الجلدي الأسود ليساعدها في بلوغ الأرض، فأخذت يده ببساطة، وصعدت لتجد

نفسها في غرفة خالية تماماً، لكن لها شباك سرّب أشعة شمس أجبرتها على أن تستدير بوجهها لأنها لم تحتملها، ولها باب! وقفا صامتين عدة لحظات، تأملت فيها لينا القناع، وكأنها تحاول اختراقه لمعرفة من يخفي خلفه، وقطع دهار الصمت:

- ممكن دلوقتي تروّحي.

ردت باستهزاء:

- ببساطة كده؟

- روحك اتشفت!

- اتشفت من ايه؟ انت مجنون؟ طلعني من هنا!

- عايزة تنتقمي لفرح؟

هبط عليها السؤال كالصاعقة، وفوجئت بشبح فرح يومض أمامها فجأة فسرت في جسدها قشعريرة:

- مش عارفة! بس عارفة دلوقتي إني ماكنتش عايزاها تموت، كان نفسي تكون موجودة...أنا السبب.

- انتى دفعت التمن، وانتى نفسك طلبتى ده مني قبل كده!

- أنا مش فاهمة انت عايز إيه بالظبط؟

- أولا، انتى عايزة تنتقمي من اللي كانوا السبب في موتها؟ ولّا ترجعي لحياتك، وكأن مفيش حاجة حصلت؟

بدت فكرة العودة لحياتها سخيفة لسبب لم تفهمه:

- انت مين؟

لم يجب، لكنه أخذ ينزع القناع بكلتا يديه، وحين ظهر وجهه أمامها هتفت متفاجأة:

- انت؟

كانت رؤيتها للوجه المختفي خلف القناع كافياً لإنعاش ذاكرتها لتعود إلى ليلة كانت مخمورة فيها، وقابلت هذاالشخص بالذات، وطلبت منه أن ينتقم مهما كان الثمن.

-52-

سيطرت الحماسة على سوزان، التي نامت نوماً متقطعاً، وهى تعيد المشهد، الذي خططت لحدوثه في ذهنها، حتى أصبحت التفاصيل متجسدة أمامها، فقط عليها أن تصيب ضحيتها المرتقبة في مقتل، وأن تتأكد من إتمامها لمهمتها بما يضمن أن يكون شهاب فارق الحياة قبل وصول الإسعاف كي لا ينطق بكلمات قد تدينها، أو أن ينجح الأطباء في إنقاذه،فيشهد عليها بما لا تحمد عقباه.

لكن سرعان ما انهارت أحلامها حين أخبرتها جيهان، في الهاتف،بأن شهاب قرر ألا يعود إلى المنزل، وحذرتها من أنه يفكر في الانتقام منها، وحاولت أن تطمئنها بأنها ستحول دون أن يقوم شهاب بأي عمل أحمق، مؤكدةً لها أن المياه ستعود إلى مجاريها حين يهدأ الأخير.

هكذا غرقت خطة سوزان في قاع معتم، وندمت على أنها سلمت طفلها لجيهان، لكنها قررت أن تبقي نفسها في حالة استعداد مستمرة في حال دق شهاب بابها.

-53-
بالرغم من أن مروان عقد عزمه على أن يدير ظهره لكل شيء، ويرحل إلى الأبد، وأن يبقى مختفياً عن الأنظار، حتى يتم له مراده، إلا أن مكالمة هاتفية واحدة كانت كفيلة بأن تخرجه من عزلته الاختيارية، فكان المتصل هو سكرتيرة سميحة هانم الدرملي شخصياً.
وسميحة هانم ليست في واقع الأمر هانماً، بل هى فتاة جميلة شقت طريقها بصعوبة إلى القمة مستخدمةً مفاتنها، وفي طريقها تعرفت على ثري عربي اتفق معها على الزواج، وأغدق عليها المال قبل زواجهما، حتى أنها ارتابت فيه، لكنها في النهاية تزوجته، وحان وقت دفع الثمن.
استمرت الزيجة شهراً واحداً، ذاقت فيها سميحة صنوف العذاب وويلاته، بداية من الإهانات،مروراً بالضرب بالسياط، وصولاً إلى الحرق والكهرباء، لكنها تحصلت من تلك الزيجة على مبلغ مكّنها من إجراء عمليات تجميل لما تشوه من جسدها، بالإضافة إلى بداية مشروعها الشخصي، الذي لم يبدأ سوى بشبكة دعارة، وسرعان ما حصلت على لقب سيدة المجتمع والجمعيات الخيرية!
أما مروان، فكان بالنسبة لها دميتها المفضلة، فبعد تلك الزيجة، تحولت ميولها الجنسية تماماً؛ فتارة هى سادية متوحشة، وتارة هىعبدة ذليلة. وكانت تفضل مروان لأنه يتوافق بسهولة مع أي من حالتيها، وهو يبتكر في الألم حين تشاء، ويصبح عند قدميها حال رغبت في هذا، ولأنها سيدة مجتمع، وهو نجم سينمائي،

فكلاهما متوافق على السرية التامة، لكن بالطبع كانت سميحة هى، التي تدفع الثمن.
لم يكن مروان مفتوناً بها، ولم يكن لها أي مشاعر، ولو حتى شفقة، بعدما قصّت عليه قصتها مع زوجها السادي، كانت مجرد زبونة من زبائنه الرجال والنساء، ربما كان يحتقرهم جميعاً، لكنه كان يحتقرها بصفة خاصة حين تأكد من أن مساهماتها في الجمعيات الخيرية ما هى إلا ستار للتجارة في أعضاء المحتاجين.
لكن بالرغم من عزلته، التي فرضها على نفسه، ومن كرهه الدفين تجاه شخص سميحة، فإنه لم يكن يملك رفض مقابلتها، فالعاقبة ستكون وخيمة، وحذرته مسبقاً بأنها لن تقبل منه أي أعذار، وهددته بأن تسلخ جلده لو تأخر عليها يوماً، وكان يعرف أنها قادرة على أن تسبب له ضرراً يفوق سلخ الجلد بكثير.
لهذا حين تلقى اتصالاً من سكرتيرتها تطلب منه الحضور اليومإلى قصرها المحاط بعزبة كبيرة في منطقة مجاورة لأبو رواش لم يضيع وقتاً، وحضّر نفسه متأففاً للقائه المرتقب، وتمنى لو كان مزاجها اليوم يجنح نحو الرضوخ، فيكون هو سيدها، فيجعل منها وسيلة ينفث فيها عن غضبه وقلقه.
حين خرج مروان من بيته، بدا جذاباً أكثر من المعتاد، كعريس يستعد لأن يزف إلى عروسه، أو كمن زينه القدر قبل ليلة أخيرة يقضيها على سطح الأرض.
وكان القدر كريماً معه في هذه الليلة، فحين قطع بسيارته المروج المحيطة بالقصر، ووصل إلى بابه واقتادته الخادمة

إلى غرفتها دون أن تنبس بكلمة واحدة، وجدها أمامه منكسة الرأس، منادية إياه بـ "يا سيدي"، فعلم أن أمنيته تحققت، وهوى على وجهها بصفعة أسقطتها أرضاً، وهو ينظر إليها بتشفٍ، فيما تصرخ من الألم واللذة.

هكذا مرت عدة ساعات، فرّغ فيها مروان كل طاقته، حتى ألم به التعب، أما سميحة فتحولت فجأة إلى نمرة شرسة، وأشارت إليه بأنها اكتفت آذنةً له بالرحيل، ملقية في وجهه مظروفاً به حفنة ثقيلة من الدولارات.

-54-

## اليوم الحادي عشر

كانت الساعة قاربت الثانية صباحاً، حين كان مروان يجاهد في أن يصب تركيزه على قيادة سيارته، بالأخص أن النور كان شبه غائب عن الطريق. شغّل بعض الأغاني القديمة، وبدا كل شيء هادئاً، حتى أخذ فريق Eagles يغني أغنيته المريبة (Hotel California(4، حينها بدأ يميز سيارة جيب سوداء تأكل الطريق خلفه، وكأن قائدها مخموراً يخال الشارع حلبةً للعربات المتصادمة.

You can check out anytime you like, but you can never leave...

-55-

بالرغم من أن سامح كان في واقع الأمر، مخطوفاً ومقيداً من قدميه، إلا أنه لم يكن يبالي بالأمر، بل خال نفسه في الجنة! جنة تنقصها حواء، وبالطبع حرية قدميه، فكان الطعام متوفراً، وكذلك المخدر، ولم يكن الرجل ذو القناع يثير قلقه، فلو أراد أن يؤذيه لفعل هذا، ولم يكلف نفسه تكاليف الطعام والمخدر! هكذا فكر سامح، وقرر أن يستمتع بما هو فيه.

كان في مزاج رائق حين فتح باب الغرفة بغتة ليدخل منه دهار حاملاً صينية الطعام بقفازين أبيضين، لكنه لم يكن دهار، الذي اعتاده، بدا أقصر وأضعف بكثير، وتغطى جسده بالكامل بجلباب أبيض فضفاض، وأخفى القناع وجهه، لكنه لم يكن القناع المتسخ المكسور المعتاد، بل كان قناعاً أبيض جديداً، أما باقي رأسه فاختفى تحت قماش أبيض تدلى حتى كتفيه. شعر سامح بأنه أكثر قوة، وأخذ يزوم فيما أطلقت عينيه نيرانها، وهو يصرخ:

- انت مين؟

لوهلة اهتز دهار في مكانه، وكأنه خائف حتى كادت صينية الطعام، التي كان عليها كيس المخدر، تقع من يديه بمحتوياتها، لكنه تمالك نفسه، وسار بخطى ثابتة غير عابئ بصيحات سامح، الذي أخذ يسب ويبصق، وأخيراً وضع دهار الصينية بالقرب من سامح، الذي جاهد في أن تصل يديه إلى ملابس دهار ليمسك به، لكن الأخير انسحب برشاقة، ملوحاً بإشارة إباحية بإصبعه الوسطى، وفي لحظة كان دهار يغلق الباب خلفه، ويتكئ على حائط مقارب، وأخذ يتنفس الصعداء، خالعاً

آلمته بشدة، فأخذ يئن بتشنج فيما تعالت ضكات مجنونة، وأخيرا توقف الوتد الخشبي مستقراً في موضعه.
ما هى إلا لحظة، حتى نزعت عصابة عينيه، ليجد قناع دهار أمامه، ووقف بجسده المفتول بملابس سوداء. اعتصر دهار رقبة ضحيته بيمناه حتى كادت قصبة مروان الهوائية تتفتت، لكن دهار تراجع تاركاً لمروان فرصة ليسعل، وهو يعب الهواء في رئتيه، وعاد دهار إلى ضحكاته الماجنة:
- بيتهيألي إنك مبسوط!
تعلقت عينا مروان بالقناع، ومازال يحاول الصراخ، فيما أكمل دهار:
- انا مش هاقتلك، ماتخافش. انت بس هتدفع حسابك وتمشي، عايز تنتحر بعدها، ما اعتقدش حد هيزعل عليك.
واستدار دهار مولياً ظهره لمروان، واستدرك:
- نسيت أقولك ان اللي بيحصل دلوقتي بيتسجل، لو عايز نذيع قول ذيع!
وعاد مواجهاً سامح ليبدأ وصلة من الضحك:
- السكوت علامة الرضا!
وتعالت ضحكات دهار، ورش جردل ماء بارد على جسد مروان، ثم أخذ يضغط على زرار مثبت على جهاز غريب موصول بأسلاك ليدي مروان فانتفض مروان، وأخذ دهار يعبث بالزرار لينتفض جسد الضحية مع كل ضغطة(5).

-57-

حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً، تلقت الشرطة اتصالاً من "فاعل خير" يخبرهم بأن مروان الطحان موجود في خرابة بجوار المحور، وهو في حالة مزرية، وحين سئل عن اسمه، أجاب ضاحكاً:

- دهار!

-58-

حوالي الساعة الثانية ظهراً، كانت سوزان تأكل بيتزا كبيرة الحجم على سريرها، حين اتصل بها أسامة. لم تكن ترغب في الحديث معه، لكنها تلقت الاتصال لتجد صوت أسامة مرتبكاً:

- شوفتي اللي حصل؟
- فيه إيه؟
- مروان... مروان... مش عارف أقول إيه؟
- ماله هوّ كمان؟
- بصي هبعتلك Link دلوقتي خشي عليه.

أغلق أسامة المكالمة، وبعث لسوزان برسالة على Whatsapp تتضمن رابطاً على موقع ال Youtube.

كان دهار دشن قناته الخاصة على ال Youtube تحت اسم "The mask of Dahhar"، وحوت فيديو واحداً تحت عنوان:

.Punishment part 1: Hesham El-Tahan

مدة الفيديو ستة عشر دقيقة، وبدأ بشاشة سوداء مكتوب عليها بلون أحمر 18+، ثم ظهر دهار مرتدياً ملابس سوداء، وجلس خلف مكتب قديم، فيما كانت الخلفية حائط أبيض، واستهل حديثه بنبرة شيطانية:

- مساء الخير إدهار بيقدملكم فيلم الإثارة، عقاب مروان الطحان، بتمنى السادة المشاهدين يستمتعوا زي ما انا متأكد ان مروان استمتع.

وصمت لحظة، ثم عاد:

- أكتر من 18 سنة، أنا نبهت، ومش لذوي القلوب الضعيفة.

وتعالت ضحكاته، فيما أخذ يلوح بقبضة يده كطفل صغير يودع أمه!

كان الفيديو مصوراً بكاميرا ذات جودة متوسطةمثبتة في سقف المكان، الذي تم فيه تعذيب مروان، ولم يعد للفيديو صوت، فقط ظهر ما حدث لمروان منذ نزع دهار الغمامة من على عينيه، واستمر الفيديو حوالي إحدى عشرة دقيقة، عرض فيها ما تعرض له مروان من تعذيب.

وأخيراً انتهى مشهد تعذيبمروان، ليعود الفيديو إلى دهار خلف مكتبه:

- القانون عاجز إنه يعاقب، القصاص في إيدي وفي إيدك..طبق القانون.

وصمت لحظة، كمن يتنهد:

- كل اللي هتحتاجه Mask تستخبى وراه.

وفي النهاية ظهرت شاشة سوداء كتب عليها بالأبيض:

"You might be next...

".Stay tuned

شاهدت سوزان الفيديو غير مصدقةً ما يحدث، حتى ظنت أنه مجرد مشهد في فيلم، لكن الواقع كان أبشع من أن يكون مجرد مشهد، وفي التعليقات وجدت روابط لأخبار اختطاف مروان وتعذيبه، وتفاصيل عن بلاغ "فاعل الخير"، وكذلك عن نقل

مروان إلى مستشفى آمنة، وتأكيداً لمعجبيه أنه سيتعافى خلال أيام.

أما باقي التعليقات، فما بين متعاطف وشامت، ومتفلسف، والأهم بعض التلميحات عن علاقات مروان غير السوية، والتي ستلوكها الصحف الصفراء في الأيام المقبلة.
معلومة تقنية: كان المكان، الذي انطلقت منه القناة في الأرجنيتن، وتم بث الفيديو من البيرو !أما برنامج الـProxy المستخدم، فكان من المستحيل تقنياً تعقبه! بالطبع سيتم حذف القناة والفيديو في خلال وقت قصير، لكن الفيديو كان قد حفظ على أجهزة آلاف الناس.
من ناحية أخرى، أصبح دهار نفسه حديث الساعة، نعته بعض الناس بالمجنون، وبعضهم بالمخلص، وآخرون رأوا فيه مجرماً وسادياً، ووصل الأمر إلى أن وصف بأنه المسيح الدجال، وبالرغم من أنه لم يظهر القناع طويلاً في الفيديو، إلا أن هذا لم يمنع مئات المستخدمين من وضع صورته مكان صورة الـprofile على مواقع التواصل الاجتماعي، بل وأطلقت عدة صفحات وجروبات باسمه، وامتلأت سريعاً بآلاف المعجبين!
وفي هذه الليلة كان دهار ومروان بطلى برامج الـ Talk show! لكن الحكومة "الرشيدة" قررت حظر النشر حفاظاً على الأمن العام!
أما سوزان، فشاهدت الفيديو عدة مرات، وقطرات العرق تتصبب من وجهها، بالرغم من برودة الجو.

-59-

لم يكن معقل دهار سوى فيلا قديمة من طابقين، مهجورة منذ زمن بعيد، وهى موجودة في صحراء قريبة من طريق القاهرة-الإسكندرية الصحراوي، ويصعب الوصول إليها إلا بسيارة دفع رباعي. كان الزمن نسى تلك الفيلا، لكن دهار وجدها، ولسنوات طويلة أعدها لتكون مركز القيادة لعملياته، وكذلك سجناً لضحاياه.

ومؤخراً أصبحت لينا سيدة الفيلا! فبعد أن أتمت "عقوبتها"، وقررت أن تشارك دهار في مخططه، أعطاها الأخير الحرية المطلقة في التجول في الفيلا، عدا غرفتين يعتبرهما مقر القيادة، وكذلك أصبح لديها مهمة إطعام سامح، حتى يحين أوان عقابه، ذلك العقاب، الذي لم يفصح عنه دهار.

عاد دهار إلى الفيلا قبيل المساء، وحين ولج بابها، كان يرتدي قناعه، فيما كانت لينا ترتدي الملابس، التي خطفت بها، واستقبلته بابتسامة غامضة فيما اكتفى هو بإيماءة من رأسه، ووضع أكياس طعام على منضدة، وتوجه إلى أحد غرف القيادة في صمت.

ما هى إلا لحظات، وعاد دهار حاملاً لابتوب، وطلب من لينا أن تجلس بجواره، وعرض لها الفيديو، الذي عرض على الـYoutube. تابعته لينا كمن يتابع فيلما مثيرا، ولأول مرة في حياتها تجد لذة غريبة في مشاهدة تعذيب شخص، إذ كان مجرد رؤية الدم تسبب لها غثياناً فيما سبق!

حين انتهى الفيديو، توجهت بعينيها إلى دهار:

- كل ده عشان اللي طلبته منك؟

أجابها هذه المرة بصوت إنساني طبيعي:

- للعدالة، مش ليكي!

تظرت إليه بخيبة أمل:

- مش فاهماك يا...

كان قد أشار إليها بإصبعه أن تصمت:

- أنا دهار، اسمي انتهى خلاص، وانت كمان دهار!

أجابته بارتياب:

- أنا مش فاهمة حاجة... هوّ مش احنا المفروض هننتقم وبس؟

- لأ.

همّ بالقيام إلا أنها أمسكت به، واقتربت منه، وأخذت تقبل القناع بشهوة وهى تتحسس شعر رأسه، لكنه دفعها عنه برفق، فألقت بنفسها على كرسيها:

- إيه مابقيتش عاجباك؟

- احنا مش موجودين هنا عشان كده.

- وايه الـmask ده؟

- كان على وش واحد اتقتل بخرطوش في الثورة، محدش عرف هوّ مين، وأنا احتفظت بيه وقررت أستعمله.

- ودهار؟

- اسم شيطان الكوابيس.

- ليه ماقتلتهمش ببساطة؟

- أنا بعاقبهم وبس، وفي النهاية بعد ما يمروا بتجربة مؤلمة همّ يختاروا يعيشوا أو يموتوا...

وتحرك بقناعه لأعلى كمن يستلهم رؤيا:

- حتى لو كنت بديت كل ده عشان أنتقم، أنا اكتشفت إن القانون مابقاش كفاية. اللي أنا بعمله فكرة هتلهم ناس كتير. دهار هيبقى.

نظرت إليه بدهشة:

- دهار؟ ... دهار هيبقى ايه؟
- هتفهمي مع الوقت... انتى نفسك بقيتي دهار.

كانت تعلم في نفسها أنها تغيرت، على الأقل لم تعد الشخص نفسه، لهذا لم تعلق. وصمتت لحظات:

- انت هتكهرب سامح برضه؟
- لأ.
- أمال؟
- هخلصه من سبب مصايبه.
- ازاي يعني؟
- كله بوقته.
- وسوزان؟
- سوزان هى الوحيدة اللي لازم تموت لأنها قتلت.
- هتقتلها؟
- لأ، هىّ اللي هتقتل نفسها.

وصمت لحظة، ثم مال ناحيتها:

- بعد وقت، هيبقى عندك مهمة.

- ماشي، بس انا عايزة حاجة.
- عايزة إيه؟
- متفجرات.
- ليه؟

قالت بحزم:

- فيه حد لازم أنتقم منه بنفسي أنا كمان.
- لازم أعرف عايزة تعملي إيه.

شرحت له لينا ما في خاطرها، فوزن الأمر في رأسه، وقال لها:

- ماشي!
- وبعد ما نخلص ده كله هنعمل إيه؟
- كل حاجة متخطط لها!
- مش خايف يتقبض علينا؟
- لما نخلص، حاجات كتير هتكون اتغيرت.

-60-

**اليوم الثاني عشر**

كانت الضجة، التي أثارها فيديو تعذيب مروان على أيدي المدعو دهار شديدة الوقع، لكن مع صدور أوامر مشددة من جهات سيادية بتوقيف النشر تماماً فيما يخص هذا الموضوع، اضطرت الجرائد كلها- وحتى الصفراء منها- أن تلغي كل المقالات، التي تناولت هذا الموضوع، فلم يظهر في أي من تلك الصحف، وكأنه لم يكن، عدا تصريح صغير من نقيب الممثلين يطمئن فيه جمهور مروان على صحته، لكن هذا لم يمنع الناس من على مواقع التواصل الاجتماعي، وفي الشوارع والمقاهي أن يتحدثوا عن هذا الحادث البشع، وأخذت النظريات والشائعات تغزو المجتمع، وأهمها ما وصل إلى العوام من انحرافات مروان الجنسية، والتي تم ربطها بدهار، وتساءل كثيرون عما إذا كان الشخص المختفي خلف القناع هو أحد ضحايا سادية مروان!

بالنسبة لهؤلاء، الذين شاهدوا الفيديو، أو سمعوا عن حادثة مروان، كان الأمر بالنسبة لهم مجرد حادث، مهما بدا غريباً أو غامضاً، واحد من أخبار الحوادث المثيرة من العينة التي يستعملها الإعلام لجذب الانتباه أو تشتيت الرأي العام، وأدلى أحد "النشطاء" بتصريح مفاده بأن ما حدث ليس سوى لعبة من الحكومة لإلهاء المواطنين عن مشاكلهم اليومية، التي لم تحل منذ عقود طويلة! لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للذين يعرفون بأن الأمر لن ينتهي عند هذا الحد، سوزان وأسامة بالطبع.

لم يغمض لسوزان جفن، وهي تتخيل نفسها معلقة مكان مروان، لكن ما أرعبها بالفعل هو ابنها، ومصيره المجهول بين يدي معتوه قام بوضعه مسبقاً في كيس بلاستيكي أسود...
أسيقتل الطفل؟ لكنه وعد بأنها لو نفذت ما طلب منها فسينجو الطفل! ستقدم على فعل أي شيء، حتى ولو كان الانتحار، أو ما هو أبشع من الانتحار لإنقاذ طفلها.
هكذا كان أي صوت يفزعها، ويجعلها تجري كالمجنونة في أركان الفيلا ممسكةً بمسدسها، باحثةً عن مصدر الصوت، وفكرت في أن تذهب إلى جيهان وتأخذ طارق، لكنها تراجعت عن الفكرة لأنها كانت على يقين من أن وجود طارق معها أكثر خطورةً من بقائه مع جيهان وشهاب، فمهما كان سيحافظ عليه شهاب، ولهذا تراجعت عن فكرة قتل زوجها على الأقل في الوقت الراهن، ومن ناحية أخرى كانت جيهان تطمئنها على الطفل من حين لآخر سواء بمكالمات أو برسائل نصية.
أما الفرار مع ابنها إلى أمريكا فبدا مستحيلاً في ظل وجود مجرم خطرقد يفتك بها قبل الوصول إلى المطار.
وتوقعت أن تقوم النيابة باستدعائها للتحقيق معها لكون دهار سبق وهددها مسبقاً، لكن حتى منتصف النهار لم يحدث شيء، وزادت ريبتها حين أبلغها أسامة بقلق واضح في الهاتف بأن التحقيق تم إيقافه بأمر من جهات سيادية، وأن جهاز أمن الدولة سيتولى الأمر!

واقع الأمر أن تلك الجهات السيادية، التي أمرت بايقاف النشر في حادثة مروان، وأمرت بإيقاف التحقيق لم تكن فعلت هذا سوى لمنع الفضيحة عن شخصيات المجتمع البارزة المتورطة مع مروان في علاقات مشبوهة لو كشفت لأطاحت بكثيرين، وكانت الأوامر واضحة: "الإتيان بالمدعو دهار ميتاً".

-61-

حين داهمت الشرطة موقع الحادثة كان مروانفي حالة يرثى لها، وتم نقله إلى أحد المستشفيات الاستثمارية بالسادس من أكتوبر لتلقي العلاج تحت حراسة اثنين من أفراد الشرطة يقفان عند باب غرفته، ومنعت عنه الزيارة.

لم يكن التيار المستخدم لصعق مروان كافياً سوى لتعذيبه، لكن بالطبع سبب له الخازوق جراحاً جعلته ينزف كثيراً من الدماء، لكن الأطباء عالجوا النزيف، ونقلت إليه كمية كبيرة من الدم.

حين استفاق، ومر أمامه ما حدث، لم يكن به إرادة ليقوم بأي شيء.

هكذا ظل فيما يشبه غيبوبة اختيارية مغمضاً عينيه، غير عابئ بسيل الأطباء والممرضين، الذي لم يكن ينقطع عنه، فيما كان جسده مغطى بالمجسات الطبية، ووصلت المحاليل بيده، لكنه لم يكن يشعر بأي آلام، بل لم يكن يشعر بأطرافه أصلاً.

حوالي الساعة الخامسة ظهراً، انقطع سيل الأطباء، وساد صمت ممل، ففتح مروان عينيه، متأملاً الغرفة، التي تناثرت في جوانبها ورود من الأصدقاء والأقرباء والمعجبين، لكن تلك الورود لم تلق في نفسه أي بهجة، بل زادته غماً مذكرةً إياه بتلك الورود، التي تزين بها المآتم. لقد انتهى، وتمنى لو مات فعلياً قبل وصول النجدة.

وسمع صوت الباب ينفتح فأغمض عينيه، فدخل ممرض رفيع طويل واقترب ببطء من مروان، ونزع بخفة الوسادة من تحت رأسه، وما هى إلا دقيقتين، وفارق مروان الحياة، دون حتى أن يفكر في المقاومة، فقط طلب الرحمة من خالقه.
تم إعلان وفاة مروان في تمام الخامسة وسبع وعشرين دقيقة مساء بسبب أزمة قلبية!

-62-

تلقى أسامة خبر وفاة مروان دون إفادة رسمية، فقط عرفه عن طريق الFacebook، وجحظت عيناه، وهو يقرأ الخبر، فيما أخذ يجز على أسنانه بحنق شديد. بالطبع كان يعرف أن سبب الوفاة لم يكن أزمة قلبية، بل قتل مع سبق الإصرار والترصد في جريمة كاملة لن يتم التحقيق فيها أبداً... وضربته حالة عارمة من الغضب الشديد، حتى أنه ألقى بهاتفه المتنقل حين لم تنقطع اتصالات سوزان– التي لم يجبها– عليه.

من ناحيتها، لم تخمن سوزان أن مروان مات مقتولاً، وحتى لو جال هذا بخاطرها لظنت أن القاتل هو دهار نفسه، لكن لم يكن أمامها سوى أسامة ملجأً تحتمي فيه.

أما الرأي العام فاستقبل خبر وفاة مروان ما بين حزين وشامت، لكن وقوع جريمة فريدة في المنصورة كان كفيلاً بإلهاء الرأي العام عن وفاة مروان.

نشرت إحدى الجرائد الإلكترونية خبر الجريمة كالتالي:

"عاطل يقتل زوجته وطفليه مرتدياً قناع "دهار".

قام"ر.م"، عاطل، في السابعة والعشرين، مقيم بحي "..." بالمنصورة، بقتل زوجته وطفليه مستخدماً سكيناً، ووصلت الشرطة إلى موقع الجريمة بعد تلقي بلاغ من الجيران بسماعهم أصوات صريخ من شقة المجني عليهم. مع وصول العقيد "..." إلى موقع الجريمة، كان المتهم "ر.م." جالساً على كرسي مرتدياً قناعاً من الورق المقوى على شكل مهرج، وفي يديه أداة الجريمة، فيما الجثث الثلاث غارقةً في دمها، واستسلم

المتهم دون مقاومة، فقط ردد أنه هو دهار! وأنه قتل زوجته وأطفاله لضيق ذات اليد".

"كل اللي هتحتاجه Mask تستخبى وراه"

-63-

كان دهار قد ترك لينا جهاز Laptop، واشترط عليها ألا تستخدمه في إرسال أي رسائل، وكذلك ألا تفتح أي حساب خاص بها، تاركاً عليه حسابات مزورة على مواقع التواصل الاجتماعي لتتمكن من متابعة مجريات الأمور، كذلك ترك لها هاتفاً محمولاً، وشدد عليها ألا تتصل به على رقمه السري، إلا في حالة الضرورة القصوى.

هكذا تمكنت من متابعة أحداث اليوم، وانشغلت أيضاً بإعداد الطعام، وتقديمه إلى سامح من حين لآخر، أما متعتها فكانت في علبة خشبية جلبها لها دهار سابقاً تحتوي عدداً من السيجار الكوبي، الذي كانت تحبه، وحين عاد دهار مرتدياً قناعه، إلى مكمنه عند حلول المساء قالت له وهي تدخن بشرود:

- مروان مات ازاي؟
- اتقتل.
- انت اللي قتله؟
- أنا قولتلك اني مش هاقتله، كان بايدي اقتله امبارح.
- أمال؟
- مروان اتورط في علاقات مشبوهة مع ناس مهمة، فقرروا يخلصوا منه.
- بالسهولة ديّه؟

تجاهلها:

- فاكرين انهم مش هيدفعوا التمن.
- انت ناوي تعذبهم كمان؟

- هعاقبهم، للدقة مروان بنفسه هوّ اللي هيعاقبهم!
- مروان؟ ازاي مروان؟ مش فاهمة.

ربت على كتفها، وكانت تلك أول مرة يقوم بتصرف به نوع من المشاعر معها منذ اختطفها:

- هتشوفي.

سرت رعشة في داخلها، وانتابتها نوبة ضحك هيستيرية شبيهة بضحكات دهار نفسه، وحين هدأت، عادت، وسألته، وقد أطفأت السيجار:

- ايه موضوع الراجل بتاع المنصورة؟
- فيه ناس كتير هتؤمن بالفكرة.
- بس ده ما انتقمش من حد؟
- انتقم من المجتمع اللي سابه عاطل من غير ما يساعده.
- هوّ ده اللي انت عايزه؟
- اللي عايزه هوّ التغيير، اللي عايزه هوّ العدل.
- اللي انت بتقوله ده محتاج...

قاطعها:

- محتاج فكرة.. حاجة تهز الناس. بكرة مش هايبقى زي النهارده وامبارح، أوعدك.

لمستها كلماته، بالأخص وعده لها، كانت مضطربة المشاعر منذ دخلت الغرفة البيضاء، ومازالت حالات غريبة، وخيالات تهاجمها من حين لآخر، لكن إحساسها بالاهتمام حرك ما تبقى من المرأة بداخلها، وخافت فعلاً أن تفقده:

- أنا خايفة، مش عايزة يجرالك حاجة.
- اللي بنعمله ده، أكبر من إن يجرالي حاجة.

وأمسك كتفيها بكلتا يديه، وأكمل:

- انتى معايا في اللي بأعمله.

لم يكن سؤالاً، بل كان تقريراً، فهزت رأسها بالايجاب، وامتلأت حيوية مجهولة المصدر.

وحين غادر دهار، إذ لم يكن يبيت في هذا المكان أبداً، تمنت لينا لو أنه بقى، وقامت بمهمة إمداد سامح بالطعام والمخدر غير عابئة بتحرشاته اللفظية القبيحة، وحين انتهتوجدت نفسها تتحرك باتجاه الغرفة البيضاء لا شعورياً، وكأنها تتلمس وجود دهار فيها.

-64-

كانت الساعة قاربت على إعلان منتصف الليل، حين سار أسامة بخُطى واثقة، وهو يلج باب بار Hotel California.

أما هذا البار الكائن في الزمالك فهو غامض، وهو غير موجود على الخريطة أصلاً بالنسبة للعوام. خافت الاضاءة، يتحرك فيه الزبائن والندل على أطراف أصابعهم، وكأنهم يخافون أن يفتضح سرهم، فلا يطغى على صوت أقدامهم واصطكاك كؤوسهم سوى صوت أصابع لاعب ماهر يداعب مفاتيح بيانو عريق.

لم يكن أسامة من هواة الخمر، ولا الأماكن المغلقة! لكنه اليوم في مهمة رسمية أوكلت إليه بطريقة غير رسمية، وتقتضي لقاء عقيد الشرطة المتقاعد حسام تاج، والمعروف في الداخلية باسم اللورد، وإقناعه بالقيام بتحريات خاصة بشأن دهار.

أما حسام تاج أو اللورد، فبجانب أناقته وغليونه العاجي اللذين كانا سراً في تلقيبه باللورد، فهو من أصحاب العقليات العبقرية، وحصل على عدة بطولات عالمية في الشطرنج، أما عن سبب تقاعده المبكر، فهو أن نجاحاته المبهرة في حل القضايا المعقدة كانت نادراً ما تنسب له، ومن ناحية أخرى كان في غنى عن راتب الشرطة، إذ ينتمي إلى عائلة اقطاعية كبيرة، لكن حتى عندما تجتمع العبقرية مع المال والأناقة، لا يكون هذا كافياً لإبقاء زوجة وطفلين في بيته!

كان يجلس وحيداً يرتدي قميصاً وبنطالاً قد يكفيان ثمن سيارة صغيرة، يشعل غليونه العاجي، فيما ينفث دخاناً ثقيلاً يغطي وجهه، حاد الملامح، الذي اكتسى بذقن أسود قصير مشذب

بعناية، كما شعره المصفف بعدة كريمات. توحي هيأته بأنه قبطان متمرس لجأ إلى البسيطة، بعد رحلة مثمرة، هى رحلة حياته.

شعر حسام باقتراب أسامة، فرفع رأسه، وعرفه سريعاً، وحياه بابتسامة رزينة وعينين ثاقبتين، ودعاه للجلوس:

- كنت مستنني حد منكم.

كان اللورد بالنسبة لأسامة هو المثل الأعلى، والقدوة التي يحتذي بها منذ أن تخرج من كلية الشرطة، وعمل تحت إمرته لمدة سنتين، وجمعتهما صداقة من نوع خاص، فكان من القليلين، الذين سمح لهم حسام بأن يدخلوا حياته الشخصية، وأجاب أسامة بأدب جم كعادته في التعامل مع أستاذه:

- يا افندم، الداخلية كلها بتحلف بكفاءتك!

بالطبع كان اللورد يحب الإطراء، لكنه كان يتقبله بتعفف:

- سيبك من الكلام الفارغ ده، انت جايلي عشان اللي اسمه دهار.
- الموضوع حساس جداً، وفيه قرار من فوق إن التحقيقات ماتبقاش رسمية، وفي كل الأحوال محدش هايعرف يحل اللغز ده غير سيادتك.
- مفهوم مفهوم، عايزين يخلصوا الموضوع من غير شوشرة.
- بالظبط كده، ولو سيادتك، وافقت هيكون ليك مطلق الصلاحيات.

قاطعه:

- مطلق الصلاحيات، ها ها، مطلق الصلاحيات إني اجيبه ميت!

أومأ أسامة برأسه، مؤمناً على كلامه، فأكمل:

- وليه أعمل كده؟

رد أسامة بحماسة:

- عشان المصلحة العليا.

ضحك اللورد:

- وأنا إيه اللي يهمني في المصلحة العليا؟ أنا سِبت الخدمة يا أسامة، وانت لسه زي ما انت شعورك ساعات بيخليك تغلط في اختيار كلامك.

ظهر النادل، فطلب اللورد لأسامة كأس روم، وهو المشروب المفضل للورد نفسه، فيما أحنى أسامة رأسه لحظة، لكن سرعان ما ألقى الكرة في ملعب أستاذه، بعد أن غادر النادل:

- لأن المصلحة العليا بكل سلطانها مش هاتقدر تحل اللغز إلا لما معاليك تحله!

- حركة ذكية إنك تلعب على الوتر ده، بس أنا برضه مايهمنيش المصلحة العليا.

- بس أنا متأكد إن موضوع دهار ده شاغل ذهن سيادتك.

- صح، معجب بيه!

فغر أسامة فمه في دهشة:

- ازاي يا افندم؟

- أول مرة يبقى فيه مجرم عنده حس درامي في مصر، هوّ مبتذل شوية.. بس لا بأس.
- ده مجنون!
- الجنون كلمة مطاطة، وتعبير غير علمي بالمرة.

اكتفى أسامة بإيماءة من رأسه، فيما دخل النادل، ووضع كأس الروم على المنضدة وانصرف، فيما نفث اللورد دخان غليونه:

- عندك قايمة بالمشتبه فيهم؟
- حضرتك عندك معلومات عن القضية؟

أجاب اللورد بثقة:

- طبعاً!
- وتوقعات حضرتك إيه؟
- إنت حبست شهاب جوز سوزان ليه؟
- عشان كنت مشتبه فيه.
- الكلام ده مش عليا، إنت سوزان تهمك في حاجة؟
- صديقة قديمة و...
- تهمك في حاجة؟
- أنا بكره شهاب، شخصية مستفزة، وقلت أأدبه...
- وده سبب كافي يا حضرة الظابط؟

دارت في خلد أسامة ذكريات قديمة من أيامه الأولى في الخدمة تحت قيادة اللورد، تللك الأيام، التي قضاها معه في أمن الدولة،

وكان كل شيء مباح بكل ما تعنيه الكلمة، مهما كان قذراً أو نجساً أو سادياً:

- لا يا افندم.

قرأ اللورد أفكار أسامة من أمارات الحنق، التي ظهرت على وجهه:

- الأيام ديّه احنا بنحافظ على البلد، بنحافظ على مصر!
- سيادتك لسه قايل من شوية، إن المصلحة العليا ماتهمكش.
- يا أسامة، اللي انت جاي تقوللي عليهم مصلحة عليا دول شوية كلاب على كام مومس مالهمش لازمة، احنا كنا بنحافظ عالنظام!
- والنظام في الآخر انهار واتغير!
- انت مصدق نفسك؟
- ما اعرفش.
- انت نفسك هنا عشان تحمي نفسك، سواء كنت تحت تهديد أو كنت مجرم!
- مجرم؟
- هوّ عشان انت بتحقق في القضية تبقى مش من المشتبه فيهم؟
- يا باشا.

قاطعه:

- انت وسامح والواد الممثل قبل ما يموت... قصدي يتقتل، والبنت المختفية، وحتى سوزان نفسها.
- هوّ سيادتك عرفت ده كله منين؟
- مفيش حاجة بتستخبى، وبالنسبة للقضية أنا هحقق فيها، بس مش عشان المصلحة العليا.
- أمال عشان ايه يا افندم؟
- عشان لما آجي أقبض عليه عايز ألحق أتكلم معاه قبل ما يحصله زي ما انت عارف.
- للدرجة ديّه؟
- اوعى تفتكر إن الموضوع مجرد واحد بينتقم، الموضوع أكبر من كده بكتير.

نظر إليه أسامة باستفهام، فأكمل مفسراً:

- الشخص ده في دماغه حاجة، فكرة، وده اللي مخليني أستبعد كل المشتبه فيهم، لأن ولا واحد فيهم حتى انت ممكن يفكر بالطريقة ديّه.

منذ جلس أسامة، لم يتوقف هاتفه عن إصدار أصوات الاتصال الرتيبة والـnotifications، وبنظرة خاطفة، وجد أن أحد الرسائل تنبئه بفيديو جديد لدهار، فاحتسى أسامة كأسه، الذي أهمله، جرعة واحدة بتوتر.

-65-

**اليوم الثالث عشر**

استفاقت القاهرة على خبر هز أركانها، فلأول مرة ينتقم جاني لضحيته! نعم هذا ما حدث، لقد انتقم دهار لمقتل مروان الطحان! بعد أن أغلق حسابه السابق على الـ Youtube، ظهر له حساب جديد بالاسم نفسه، وعليه الفيديو الأول، وفيديو جديد مدته حوالي خمسة وأربعين دقيقة تحت عنوان: "لي النقمة، أنا أجازي، يقول دهار."

بدأ الفيديو الجديد بدهار جالساً خلف مكتبه تماماً، كما في الفيديو الأول:

" السيدات والسادة،

النهاردة اتقالكم إن مروان الطحان مات بسبب أزمة قلبية، وأنا بقولكم مروان اتقتل. ولأ مش أنا اللي قتلته، أنا زي ما قولت، خليته يدفع تمن غلطة، والغلطة ديّه إنه كان سبب في موت بنت صغيرة، والقانون ما انتقمش للبنت ديه، ولأن القانون عاجز، قررت أطبق العدالة بنفسي مش بس على مروان بس كمان على كل اللي ساهم في قتل فرح الصريطي. الموضوع ده هايتشرحلكم بعدين، أنا النهاردة بانتقم لمروان الطحان من اللي قتلوه، وهمّ كمان اللي منعوا النشر في قضية تعذيب مروان على إيدي، في الدقايق اللي جايّة فيه ناس كتير هاتتكشف، مروان الله يرحمه كان كشفهم قبل كده، والناس ديّه كان يهمهم إن مروان يموت، ويموت سرهم معاه."

واختفى دهار، وظهر مروان الطحان في منزله مضطرباً يرد على أسئلة شخص مجهول لم يظهر وجهه ولم يسمع صوته،

حول علاقاته المشينة بالعديد من شخصيات المجتمع من ذوي السلطة، وأصحاب النفوذ، وكذلك بعض الفنانين.
حين انتهت فقرة الاعترافات، عاد دهار مرة أخرى في مكانه نفسه، وخاطب جماهيره:
"أنا متأكد إن اللي شوفتوه ده فضح أقنعة كتير، آه أنا بلبس قناع، ومخبي وشي بس مش عشان أنا جبان، أنا عندي مهمة وديّه الطريقة الوحيدة عشان أتممها، الجبان هو الشخص، اللي بيمثل عليكم، وبيخدع عقولكم، وبيسرق من حقكم، لو لازم تلبس قناع يخفي شخصيتك عشان تحافظ على هويتك اعمل كده. أنا عرفت إن فيه واحد لبس قناع النهاردة، وقتل مراته وعياله عشان مش لاقي يأكلهم، الناس اللي حكى عنهم مروان من شوية وغيرهم همّ سبب اللي حصل ده، همّ سبب قتل أب لمراته وولاده، وناس تانية كتير بتموت كل يوم من الفقر والذل والظلم.... لو موافق على كلامي، حط صورتك على الـFacebook أو Twitter أو أي حساب عندك بصورة القناع بتاعي!"
وكما في المرة السابقة ظهرت شاشة سوداء كتب عليها بالأبيض:
"You might be next...
".Stay tuned

-66-

حين شاهد اللورد الفيديو مع أسامة، ضحك كثيراً مما أربك أسامة، وبعد مجهود لاحتواء الضحكات المصحوبة بسعال، صرّح اللورد:

- أنا معجب بالواد ده، عمل اللي ما يتعملش، بكرة مش هايكون زي امبارح أبداً، لو الواد ده كمل في خطته!

فأجاب أسامة بترجٍ قلق:

- يعني معاليك خلاص قبلت القضية؟
- قبلتها بس مش عشان السبب اللي في دماغك!

فأجاب أسامة باستغراب:

- أمال عشان إيه معاليك؟
- عشان أنا ندمان على حاجات كتير منها اللي حصل في أمن الدولة، وجه الوقت أصلح الغلط.

قالها بإصرار ألقى برعب في قلب أسامة.

-67-
قبل حذف الفيديو، وحساب دهار، كان الفيديو تسرب إلى آلاف الأجهزة والهواتف المحمولة، واستجاب أكثر من مليون مستخدم لمواقع التوصل الاجتماعي، وغيروا صورة الـProfile إلى صورة دهار! كان الفيديو سبباً في إيقاظ وزير الداخلية فجر هذا اليوم، واجتماعه بالعديد من القيادات، وكذلك طلب لقاء اللورد حسام تاج لبحث الأمر، أما الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في الفيديو، فتزاحم أغلبهم في مطار القاهرة، منهم من طار على طائرته الخاصة، أو استأجر طائرة خاصة للهروب من الموقف، أما الذين قرروا البقاء، فتوجهوا إلى مكامنهم السرية بعيداً عن الأعين.

في العاشرة من صباح اليوم، ظهر وزير الداخلية على الهواء مباشرةً على شاشات التلفاز ملقياً بياناً هذا نصه:

"أيها الإخوة المواطنون،

إن مصر تمر بظروف عصيبة لا تخفى عليكم، وظهر هذا الإرهابي... اسمه ايه؟ - أجابه صوت أحد مساعديه: دهار يافندم.. دهار... دهار، في محاولة بائسة لزعزعة الاستقرار، وتشويه رموز وطنية ساهمت كثيراً في رفعة هذا الوطن. أنا صحيت امبارح على موضوع الفيديو ده، وعملت تحريات سريعة، وقابلت أكتر من خبير نفسي أكدولي إن المرحوم مروان الطحان كان تحت تهديد، وهو بيقول الكلام اللي قاله، يعني فيه خطة ممنهجة ضد مصر، خطة قذرة واضح إن فيه أيادي خارجية وراها، لكننا لهم بالمرصاد، وفي خلال ساعات هيتقبض على اللي اسمه دهار ده. وانا باطلب كأب من شباب

مصر، شباب الثورة، الشباب الواعي إنه مايمشيش ورا أعداء الوطن، وبأكد إني هاضرب بإيد من حديد كل واحد هايمشي ورا المجنون ده، وبعدين هوّ بيطلب إيه؟ القانون؟ العدل؟ ما ولادي الظباط والعساكر مابيناموش عشان يحققوا الأمن والعدل، وزي ما شفتم الراجل المسكين اللي مشي وراه قتل مراته وعياله، وقال دهار قاللي! دهار ايه؟.. الناس اللي ماشية ورا الوهم ده غير مسئولة بالمرة، وانا بحذر أي حد هايلبس Mask أو هيحط صورة المجنون ده على أي حاجة هايتقبض عليه. مصر أمانة في إيدينا ولازم نحافظ عليها، ديّه مصر يا جماعة، مصررررر!

والله المستعان،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته."

استقبل خطاب الوزير الهش بسخرية لاذعة على كل مواقع التواصل الاجتماعي، لكن بالطبع كان هناك عدد لا يمكن الاستهانة به ممن صفقوا للوزير، وباركوا خطابه، فيما زاد عدد الذين وضعوا صورة دهار نكاية في الداخلية.

أما سوزان، فأيقنت بأن نهايتها باتت قريبة، وقضت ليلتها في هيستيريا ما بين بكاء وضحك، وحين شاهدت خطاب الوزير، كان الأمر بالنسبة لها كمشاهدة مقطع كوميدي من فيلم مقاولات هابط.

استفاقت سوزان من حالة الهيستيريا، حين وجدت شهاب واقفاً أمامها،حاملاً طفلهما على صدره كدرع واقٍ، وكأنه كان يعلم بخطتها للتخلص منه. كانت جالسة في غرفتها، حين سمعت صوت أقدام تقترب، لكن الوقت لم يسعفها لتحضر نفسها،

وتحضر المسدس، وهذا كان من حسن حظ الطفل، الذي كان على الأغلب سيصاب بالطلق الناري بدلاً من شهاب.
تزاحمت كلمات كثيرة على شفتي سوزان، فلم تخرج أي من تلك الكلمات، فاستهل شهاب الحديث، وهوّ يقترب من زوجته ببطء ليناولها طفلهما:

- أنا مقدر اللي انتى فيه، وجيت عشان نعدي الموضوع ده سوا.

كاد عقل سوزان يحترق من التفكير لاتخاذ قرار سريع، وهى تستقبل طفلها:

- شهاب، طول عمرك راجل، أنا كنت متأكدة إن مهما حصل ماكنتش هاتسيبني.

اقترب شهاب منها،وقبّل رأسها. كان مشهداً دافئاً مبتذلاً، ففي الوقت، الذي أبدى فيه شهاب حسن النية لسبب غير مقنع، كانت سوزان تفكر في طريقة جديدة للتخلص منه، ووجدت في وجوده حصناً قد يمكنها الاحتماء به كملاذ أخير لو اقترب منها دهار فعلاً، وبما أنها أيقنت بأن دهار ليس مجرد مجرم مجنون، وأنه قد ينجح فعلاً في قتلها، فلا مانع من إبقاء زوجها إلى جانبها، وفي حال أفلتت من دهار، فلن يفلت شهاب منها.

-68-

في لقاء قصير بين وزير الداخلية وحسام تاج- الذي اضطر أن يحلق ذقنه فيما عدا شاربه- سأل الوزير عن تقييم الأخير للموقف، فأجاب:

- فعلاً يا باشا ده ولد مجنون، تمام زي ما معاليك قولت في الخطاب.

طرب الوزير لذكر حسام للخطاب، وسأله بزهو:

- إيه رأيك في الخطاب صحيح؟
- رائع معاليك، بسم الله ما شاء الله، خطاب قوي وفي الصميم، ومعاليك أسد والله.

ابتسم الوزير:

- ماتبالغش يا حسام.
- مش مبالغة أبداً يا معالي الوزير.

لكن ملامح الوزير اكفهرت:

- هاتعمل ايه يا حسام؟ انسى موضوع استقالتك ده، البلد محتاجاك عايزين نخلص من الموضوع ده بسرعة، البلد مش مستحملة.
- فيه خطة موضوعة، وأنا هابتدي التنفيذ أول ما أطلع من مكتب معاليك.
- عفارم عفارم، بلغني أول بأول، أنا عايز الموضوع ده يخلص امبارح.
- تحت أمر معاليك، اعتبره خلص.

-69-
بعد قرابة ساعة من مغادرة اللورد لمكتب الوزير، ظهرت بعض عناوين الصحف الإلكترونية:
"شباب يرتدون أقنعة بيضاء بمحيط ميدان التحرير"
"متظاهرون بالميدان يخفون وجوههم بأقنعة، ويرفعون لافتات كتب عليها نعم لدهار!"
"الشرطة تنجح في تفريق مجموعة من المتظاهرين بأقنعة دهار بميدان التحرير"
"بعد خطاب مرتبك لوزير الداخلية، شباب يردون من قلب ميدان التحرير: كلنا دهار!"
فيما كانت لينا تقرأ تلك العناوين وغيرها، كان قلبها يخفق بسرعة من فرط النشوة، نشوة نصر لم تخطط لها حين طلبت الانتقام لأختها من شخص ظنته لن يحرك ساكناً، انتقام تعدى كونه ثأرا عائليا ليتحول إلى إلهام من نوع خاص.
-70-
انصرف شهاب إلى عمله تاركاً زوجته مع طفلهما، ذلك الطفل، الذي شعرت أمه بأنه تحول إلى عبء ثقيل عليها، على الأقل، في الحالة الراهنة، لهذا قررت أن تطلب مساعدة جيهان، وبالفعل اتصلت بالأخيرة، وطلبت منها أن تأتي، وتبيت معها عدة أيام بحجة أن حالتها النفسية المضطربة لا تسمح لها بمراعاة الطفل كما ينبغي، فوافقت على مضض، وما هى إلا ساعة، وكانت جيهان تطرق باب منزل أخيها، وهى تنفث دخان سيجارة أخيرة، قبل أن تعود للعناية بالطفل.

ربما تبدو جيهان من هيأتها، وطريقة حياتها بمظهر شابة مستهترة، لكن حين يتعلق الأمر بالأطفال، فإن كل هذا يتغير تماماً، وأثبتت أنها قادرة بالفعل على تحمل المسئولية منذ أوكل إليها شهاب العناية بابنه، لكن تلك المسئولية، التي برعت في تنفيذها كانت عبئاً ثقيلاً عليها، فلم تترك المنزل تقريباً، ولم تدخن طيلة فترة وجود الطفل معها، وحين طلبت منها سوزان المساعدة، قبلت بالرغم من أنها كانت خططت للترفيه عن نفسها بعد فترة كانت أشبه لها بسجن!

أما سوزان، فانشرحت لرؤيتها، وشعرت بسخرية متشفية، وهى تراها مجبرة على مساعدتها مرة أخرى للاعتناء بالطفل، لكن سرعان ما انشغلت سوزان عن الطفل وعمة الطفل، حين طلب منها أسامة في مكالمة هاتفية أن تقابله في أحد الكافيهات القريبة لأمر عاجل.

-71-

كانت شمس الظهيرة ترسل أشعة متكاسلة على وجه سوزان، التي جلست تحتسي أحد صنوف القهوة الباردة في انتظار أسامة، حتى ظهر الأخير متأخراً بخطوة عن شخص يسير أمامه.

مد الشخص الغريب يمناه إلى سوزان معرفاً إياها بنفسه:

- عقيد حسام تاج.
- تشرفنا يا افندم!

جلس، وجلس أسامة صامتاً مغتماً، فيما أخذت عينا سوزان تتجولان في تفاصيل اللورد، الذي بدا لها خارجاً لتوه من فيلم كلاسيكي، وأتى النادل ليضع زجاجة مياه معدنية وكوبا ثلج، فطلب اللورد لنفسه، ولأسامة قدحي قهوة، ووجه حديثه بابتسامة غامضة لسوزان:

- من الغباء شرب مية معدنية على تلج من مية الحنفية.
- أجابت سوزان بنوع من الدهشة:
- أول مرة أفكر في ده!
- التفاصيل هى السر.
- سر إيه؟
- كنت بطل العالم في الشطرنج، تفتكري كنت بكسب بس عشان أنا ذكي؟ لأ، عشان بلاحظ التفاصيل، أقل حركة بيعملها الخصم اللي قدامي كانت بتفضح حركته اللي جاية، أو حتى خطته.

- للدرجة ديّه؟
- ماعندكيش فكرة يا هانم.

كان لوقع كلمة هانم من شخص كحسام إحساسا خاصاً داعب حس سوزان الأنثوي، لكن لم تكن ملاحظته، وتلقيبها بهانم سوى جزء من استراتيجيته ليذيب الحاجز بينهما ليستدرجها لتحقيق يبدو في ظاهره كدردشة بين صديقين حميمين في حين آثر أسامة الصمت.

وسار التحقيق- لو صح أن نسميه تحقيقا- كما خطط اللورد، ولم تنتبه سوزان إلى أنها استرسلت في الحديث، وكأنها تتحدث أمام مرآة، بل إنها اعترفت بقتل فرح كأنه شيء طبيعي! لكنها حين أدركت بأن لسانها خانها تراجعت قليلاً، لكن سرعان ما طمأنها اللورد بأن الماضي مضى بكل ما فيه، وأن قضية فرح لم تفتح، ولن تفتح أبداً، ولم تملك سوى أن تثق فيه لدرجة الإيمان بكلماته.

كان اللورد يتابع بابتسامة هادئة واثقة كل التفاصيل، التي روتها سوزان، والتي سمع جزءًا كبيرًا منها من أسامة نفسه! وبالرغم من أنه عامل سوزان كما لو كانت أميرة، إلا أنه قرأ في عينيها خبثاً منفراً، حين سألها عن زواجها تضاعف إحساسه بأنها تخفي خلفها أسراراً كثيراً، وأنها في الواقع تكره زوجها، الذي حاولت أن تدافع عنه، وعن تصرفاته، وكأنها امراة بائسة تحافظ على زواجها، لكن بالطبع لم ينطلِ هذا على اللورد.

-72-

قبل أن يغادر دهار في الليلة السابقة، كان قد دخل إلى الغرفة المقيد بها سامح، وحرمه من المرتبة مقيداً إياه في كرسي معدني بسلاسل حديدية، وسد فمه بقطعة قماش ليمنعه من الصراخ، فأخذ ينّ حتى خارت قواه.

وأبلغ دهار لينا، بأن لديها مهمة، وشرح لها تفاصيلها، وفي الساعة، التي حددها دهار، بدأت لينا المهمة.

ارتدت لينا ما يشبه جلبابا أبيض طويلا، ولبست قفازين من اللون نفسه، وكذلك ارتدت قناعها الأبيض الجديد، وعلى رأسها قماش أبيض يخفي ما تبقى من شعرها ورأسها، وتسلّحت بمقص كبير من المقصات، التي تستخدم في تقليم الأشجار، وكذلك بمشرط جراحي، وفتحت الغرفة، التي يقبع فيها سامح مقيداً على كرسيه.

أغلقت لينا الباب ببطء، فيما راقب سامح المقص في يديها بعينين مرتعبتين، وأخذ يحاول أن يحرك جسده بعصبية محاولاً الهرب في يأس، أما لينا فألقت المقص على الأرض محدثاً ضوضاء قصيرة، ولوّحت بالمشرط أمام عيني سامح.

حادثته لينا بصوت كفحيح الثعبان:

- هتتعاقب عقاب مناسب.

أصدر سامح صرخات مكتومة، وهو يحرّك رأسه برعب، فضحكت لينا ضحكات شيطانية دهاريه، وأخيراً صرخت فيه:

- اخرس.

وكان الجرح الأول أسفل عين سامح اليسرى، وتبعته جراح كثيرة(6) على وجهه، فيما هو يحاول أن يتفادى المشرط، الذي

أخذت لينا تشرح به وجهه بهيستيريا، وضحكات جهنمية، حتى شعرت بالعرق يتصبب منها، فيما تحوّل وجه سامح إلى لوحة سريالية مرسومة بدمائه.
انتبهت لينا فجأة إلى أن الجروح أكثر مما ينبغي، فألقت بالمشرط الملوث بالدماء أرضاً، والتقطت بطريقة مسرحية المقص، وأخذت تعبث به أمام وجه سامح:
- دلوقتي هاخلصك من الشم!
فتحت لينا المقص، ثم أغلقت حديه بكل ما أوتيت من قوة لتقص أرنبة أنف ضحيتها، فصرخ سامح من فرط الألم، وهو يشاهد قطعة من اللحم المخضب بالدم تسقط على الأرض.
لكن فقرة التعذيب لم تكن انتهت بعد! كان على لينا أن توقف النزف بالطبع لم تكن ستحيك الجراح، بل كانت وضعت سكينا على نار بوتاجاز موضوع بالمطبخ الموجود بمخبأ دهار، وتركت سامح لدقائق غارقاً في دمائه لتحضر السكين،الذي تحول نصله إلى لون أحمر متوهج.
بدأت لينا أولاً بأنف سامح، أو ما تبقى منها.

-73-

عادت سوزان إلى منزلها، وهى تفكر في اللورد. لم تكن تفكر فيه كمحقق، بل كرجل مثير! لكن حين استقبلتها جيهان، وبين يديها طارق، اصطدمت بالواقع القاتم، التي تمنت لو تحول لكابوس ينتهي مع الاستيقاظ، كابوس تستيقظ منه في فراش حسام تاج!

نام الطفل بهدوء بين يدي جيهان، فتركته بجوارها على الأريكة، التي تجلس عليها، فيما فتحت سوزان التلفاز، الذي التزمت القنوات الوطنية بعدم نشر أي أخبار عن دهار أو عن مريديه، الذين ظهروا في الميدان في هذا الصباح، وألقت الشرطة القبض على بعضهم، لكن قضية دهار كانت هى المهيمنة على أغلب القنوات الفضائية، التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة، فتذكرت سوزان لحظة اللورد حين قال لها أن الصحافة ممنوعة من الاقتراب منها، لكنه شدد عليها ألا تدلي بأي تصريح لو حاول أحد الصحفيين المتطفلين- على حد تعبيره- أن يقترب منها.

كانت الساعة تجاوزت الثامنة مساءً، لم يكن شهاب عاد بعد من العمل بحجة أن لديه اجتماعا مهما، فيما شعرت جيهان بالملل، فخرجت إلى الحديقة لتحصل على جرعة من النيكوتين.

أشعلت جيهان سيجارة، وأخذت تدخن باستمتاع، إذ لم يتبق لديها أي نوع من الرفاهية في منزل أخيها سوى التدخين من وقت لآخر، لكن صوتاً غريباً بين حشائش الحديقة قطع نشوتها، فألقت السيجارة، واستدرات بوجهها لتواجه زومبي!

وقف الوحش، الذي خرج لتوه من أحد الأفلام ال[illegible] محترق وأنف مبتور وملابس في هيئة رثة تفوح منها ر[illegible] كريهة، وفي عينيه نظرة متوسلة، فيما قابلته جيهان بصر[illegible] رهيبة رجّت أرجاء المكان، اقترب منها ببطء محاولا إسكاتها، لكنها زادت رعباً، لكن ما هى إلا لحظة طويلة مضت على جيهان المتسمرة في مكانها من هول المفاجأة حتى دوّت طلقات ناريةسقط على أثرها سامح أرضاً لتظهر سوزان في المشهد حاملةً مسدساً صغيراً يرتج في يديها.

-74-

## اليوم الرابع عشر

في ظهيرة هذا اليوم، بثت كل القنوات الأرضية والمحلية مؤتمراً صحفياً ظهر فيه معالي وزير الداخلية شخصياً ليعلن على الشعب:

"السلام عليكم،

أيها الإخوة المواطنون،

امبارح قولتلكم إن هيه ساعات، ونقبض على اللي اسمه دهار ده، النهارده بقولكم انه اتقتل! ومين هو دهار أصلاً؟ مدمن مخدرات، المخدرات لحست مخه، وافتكر نفسه بطل، بطل على مصر! انما اللي ييجي على مصر ما يكسبش، واللي قتلته واحدة ست بميت راجل لما اتهجم على بيتها".

وظهر على الشاشة صور لوجه سامح المشوه ذي الأنف المقطوع تلتها صور للجثة الملقاة في حديقة، وبجوارها قناع أبيض محطم، ثم عاد الوزير مرة أخرى، لكن هذه المرة بجواره سوزان:

"أحب أقدملكم البطلة اللي خلصتنا من الإرهابي ده، مدام سوزان عبد الحكيم".

ضجّت القاعة بتصفيق حاد من الصحفيين الموجودين. كان كل شيء متفق عليه، الأسئلة التي سيسألها الصحفيون، وكذلك إجابات سوزان. بالطبع كان الوزير يعلم جيداً أن الذي قتل لا يمت بصلة لدهار، وحتى القناع الموجود بجوار الجثة وضعه

أحد عناصر الشرطة، وكان الهدف من هذا تشويش الرأي العام، وكسب الوقت حتى تتم تصفية دهار الحقيقي.
وها هى أمثلة من الأسئلة، التي جاوبت عليها سوزان، التي ظهرت بمظهر امرأة فاضلة:

- مدام سوزان تعرفي سامح من زمان؟
- من وقت ما كنت في الكلية.
- كنتم أصدقاء؟
- من بعيد، أنا كنت دايماً بانصحه يبعد عن المخدرات، لكن هوّ كان بيرفض النصيحة.
- حضرتك تفتكري ايه اللي خلاه يعمل كده؟
- الله وأعلم، بس هوّ كان عنده حب ظهور رهيب وعقد نقص، بيتهيألي إن لما حالته اتدهورت فكر يقلد فيلم أجنبي، ويجذب انتباه الناس.
- ايه تفاصيل محاولات اتصاله بيكي في الفترة السابقة؟
- مفيش، كلمني كذا مرة، وكان بيطلب فلوس، أنا طبعاً مش هساعد واحد إنه يشتري مخدرات.
- ولما رفضتي مساعدته عمل ايه؟
- حاول يهددني، ووصل بيه انه...انه هددني بابني...

وانهالت الدموع من عيني سوزان، التي أثبتت أنها تمتلك موهبة فطرية في التمثيل.

في نهاية الخطاب، وجه الوزير تحذيرا شديد اللهجة إلى أي شخص تسول له نفسه ارتداء قناع دهار أو أي قناع، أو حتى الترويج لأفكاره الهدامة البعيدة تماماً- حسب تعبيره- عن طبيعة المجتمع المصري وقيمه.

في نهاية القاعة، وقف اللورد حسام تاج متأملاً المشهد بتأفف، وانصرف قبل أن ينتهي المؤتمر الصحفي ساخطاً على ما يحدث.. ولم يكن هو الوحيد، الذي شعر بالسخط، بل الآلاف من الذين لم يصدقوا كلمة واحدة مما أتى في ذلك المؤتمر، وازداد عدد المجاهرين بقناعتهم بأفكار دهار، حتى وإن لم يفهموها تمام الفهم، حتى هذه اللحظة.

-75-

قبل حلول المساء، كان دهار قد عاد إلى مخبئه، حيث لينا. ألقت لينا سيجارها على الأرض، واستقبلته بنشوة مضاعفة، وأخذت تعانقه، وتقبل قناعه، فلم يمنعها، لكنه لم يبادلها العناق، كان كتمثال متبلد، وظلت لينا تعانقه لدقائق، حتى ابتعدت عنه ببطء، وهي تضحك دون سبب.

ظل دهار صامتاً، حتى سكنت ملقيةً نفسها على كرسي مجاور، فتحدث دهار:

- بعد كل اللي عديتي بيه، انت بقيتي شخص مختلف فعلاً.
- بيتهيألي إني بقيت أنا... أنا زي ما المفروض أكون.
- لازم تبقي دهار.
- انت دهار.
- لأ، مش انا بس دهار.
- يمكن.
- تعالي، أنا عملت فيديو جديد، هنتفرج عليه سوا، وبعدين نتكلم.

كان دهار بث الفيديو قبل دقائق من دخوله إلى مخبئه، أما الفيديونفسه، فكان تحت عنوان "Dahhar". وكالعادة بدأ الفيديو بدهار خلف مكتبه:

ضحك دهار:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
أيها الإخوة المواطنون،
كان دهار يضحك، وكأنه يسخر من أسلوب الوزير، وأكمل:
أنا فعلاً مستغرب، هم فاكرينكم أغبيا للدرجة ديّه؟ حد مدمن ممكن فعلاً يعمل ده كله؟ أنا حي، لسه ممتش، وحتى لو مت، بيتهيألي إن فيه ناس كتير بقت هى كمان دهار، وبالنسبة للسيدة الفاضلة سوزان عبد الحكيم اللي ظهرت مع الوزير، كانت بتتعاطى مع سامح في الكلية، ودلوقتي من حقكم تعرفوا كل ده ابتدى ازاي؟
شلة من تلات بنات وولدين كانوا لسه في الجامعة، وكان عندهم كل حاجة، كل حاجة بمعنى الكلمة، وهم راجعين في يوم من المصيف وقفوا يتعاطوا في الطريق، كان فيه بنت منهم عمرها ما اتعاطت، بس تحت ضغط قررت تجرب، سوزان عبد الحكيم ضربت الحقنة في إيدها، لكن ضخت كمية كبيرة من المخدر، والبنت ماتت Overdose ، البنت ديّه اسمها فرح الصريطي، وكان معاها اختها لينا الصريطي، وسامح نجم ومروان الطحان، ولأنهم كانوا فوق القانون، اتقال إن فرح ماتت بأزمة قلبية والقضية اتقفلت بمساعدة ظابط اسمه أسامة طنطاوي، كان صديق للشلة ديّه.
في يوم، كانت لينا سكرانة، وطلبت مني أنتقم لأختها، أنا حسيت بالمسئولية، وفكرت ببساطة إني أقتل سوزان وسامح ومروان، وطبعاً أسامة، وكان سهل إني أخطفهم وأقتلهم وأخبي جثثهم، بالأخص في حالات الانفلات الأمني اللي بتحصل

كتير، لكن... لكن في يوم كنت في مظاهرة ضربت فيها الشرطة خرطوش على المتظاهرين، فيه ناس ماتت وناس اتصابت، من بين الناساللي اتقتلت حد كان لابس الـMask اللي أنا لابسه دلوقتي، الشخص دة ماكنش معاه بطاقة، وعرفت انهم ما استدلوش على شخصيته، بسأنا أخدت الـMask ومشيت، ولما روحت فضلت أبصله، كان لسه عليه بقع دم ومكسر، ولسبب مش عارفه جربته على وشي، حسيت ساعتها بإحساس غريب، حسيت بإني لازم انتقم للشخص المجهول اللي اتقتل، ولناس تانية كتير بتتقتل كل يوم مش بس بالرصاص، كمان بالذل والفقر، ناس مالهاش أي ذنب غير إنها اتولدت في مكان غلط.

ساعتها بقيت دهار.

قالولكم ماتلبسوش أقنعة، وحذروكم من انكم تروجوا للي أنا بقوله، بس اللي أنا بقوله هو اللي انتم بتقولوه، وانتم لوحدكم، أنا مش عايز حاجة غير ان كلكم تتحرروا من الخوف ساعتها النهارده مش هايكون زي امبارح،وبكرة فعلاً هيبقى يوم جديد، مش هاتعيشوا عشان مضطرين تعيشوا ومستنيين الموت عشان يخلصكم، انتم هتخلصوا نفسكم.

بالمناسبة، بعد ما لبست القناع، قررت ماأقتلش مروان وسامح ولينا وأسامة، آه طبعا كنت هاقتل لينا لأنها اشتركت في الجريمة، ده العدل... للأسف مروان قتلوه الناس اللي شافوا إن في موته راحة ليهم، وسامح قتلته سوزان بقلب بارد، أما لينا فعندي، وقربت تتحرر، وهيفضل الظابط أسامة اللي بوعد إني هحرره من جريمته هوّ كمان قريب، وطبعاً عشان فيه ناس

هتقول إن أنا سامح فعلاً زي ما سيادة الوزير قال، شوفوا الفيديو ده.
عرض دهار مقاطع من عملية تعذيب سامح على يد لينا.
انتهى الفيديو بشاشة سوداء كتب عليها بالأبيض:
"Stay Tuned"
حين انتهيا من مشاهدة الفيديو سوياً، خلع دهار قناعه، ومده باتجاه لينا:
- دلوقتي، تقدري تلبسي القناع ده بالذات؟
اضطربت لينا، ومدت يدها لتتناول القناع، وحين أمسكت به، شعرت بأنه أثقل وزناً من القناع، الذي كانت ترتديه، وتأملته إذ كان قديماً ورثاً، وببطء قربته إلى وجهها، وعقدت رباطه الأسود حول رأسها.
لم تشعر به مجرد قناع كالذي اعتادت ارتداءه، كان وكأنه يحمل طاقة غريبة، طاقة خارجة من شخص ميت مجهول امتزجت دماءه بقطرات عرق دهار، وأخيراً احتكت بقسمات وجهها، حينها فقط فهمت ما عناه دهار حين قال لها إنه يجب عليها أن تصبح هى الأخرى دهار، وهذا ما حدث.

-76-

جلس اللورد حسام تاج في المكان المخصص له بالبار يتقبل التهاني بفتور من رواد المكان البارزين، وحين انفض المهنئون أخرج من جيبه تمثالا أسود على شكل ملك الشطرنج، وأخذ يقلبه في يده، حتى شعر بشخص يقترب منه.

لم يكن هذا الشخص سوى أسامة، الذي وقف منكس الرأس أمام اللورد، فدعاه الأخير إلى الجلوس بإشارة من يده، فجلس وخرجت الكلمات من فمه كهمس مكلوم:

- أنا مش عايز يحصلي زي سامح ومروان.

أجاب اللورد بتحدٍ:

- كل واحد بيدفع تمن اللي بيعمله، نظرية الـKarma مظبوطة.
- بس انا تبت.
- واضح فعلاً انك اتغيرت بدليل اللي عملته في شهاب جوز سوزان.

أحنى أسامة رأسه في أسف، وجاء النادل، فأشار له اللورد بالانصراف، وأكمل:

- مش قصدي أضايقك، بس كلام اللي اسمه دهار ده فيه شيء كبير من الصحة، بالأخص فكرة التطهر.
- تفتكر سيادتك إن فيه حاجة اسمها تطهير فعلاً؟
- بيتهيألي، حتى انا نفسي مريت بده.

نظر إليه أسامة باستغراب دون أن يتحدث، فأكمل:

- لما دخلت الشرطة كنت زيك، فكرت اني طالما بملك المال، الشرطة هتخليني كمان أملك القوة، وبدل ما استخدم قدراتي إني أخدم المجتمع فعلا، أقنعت نفسي بإن كل الانتهاكات، اللي بعملها بطولة، ومع إن كل الناس بتحلف بي في الداخلية لغاية دلوقتي، وبالرغم من إن فلوسي لسة موجودة إلا إني خسرت الست اللي بحبها، حتى ولادي عمري ما حسيت إنهم بيحبوني، أنا مجرد شخص بالنسبة ليهم، بتقتل كل يوم. تخيل إني مابقتش بحب اشوفهم عشان ما اشوفش البصة ديّه في عينيهم، بفضل اراقبهم من بعيد، وهمّ مش واخدين بالهم.
- كنت فاكر.
- كنت فاكر اني أقوى من ده بكتير؟ صدقني كلنا لابسين أقنعة، يمكن دهار ده أقل واحد لابس قناع فينا.
- حضرتك للدرجة ديّه معجب بيه؟
- ابتسم اللورد بخبث، وهمس:
- لو ماكنتش معجب بيه كان زمانه ميت دلوقتي.

-77-

**اليوم الخامس عشر**

قبيل الساعة السابعة من صباح اليوم، كان البستاني بدأ عمله في حديقة عزيز الصريطي، حين انتبه إلى أن هناك أزيزاً من ناحية الأرجوحة الموجودة في أحد جوانب الحديقة الفسيحة، التي تحيط بقصر الصريطي.

اقترب البستاني بحذر ليجد لينا ترتدي جلباباً أبيض قصيراً– بالرغم من برودة الجو–وتتأرجح بحركة أوتوماتيكية من جسدها، الذي بدا له بلا حياة، أما جسدها، فبدا وكأنها خسرت عدة كيلو جرامات، فيما اكتسى وجهها وصدرها بآثار جروح.

صرخ البستاني منادياً على سكان القصر وهو يقترب من لينا، لكن الأخيرة لم تعره انتباهاً، وكأنه غير موجود.

ما هى إلا دقائق، وتزاحم الخدم في الحديقة حول الأرجوحة، حيث وقف والدا لينا حولها يعانقونها وينهالون عليها بالقبلات، فيما ظلت هى صامتة تراقبهم بنظرات مشوشة، وكأنها لا تعي ما يحدث حولها، فأمر الأب باحضار "كونسولتو" أطباء لفحص ابنته.

أمر الأب أحد الخدم بنقل ابنته إلى غرفتها، فيما تبع باقي الخدم الأسرة إلى غرفة الفتاة، هناك فرقهم الأب، وجلس مع زوجته حول سرير الشابة، التي استلقت في صمت،وكأنها لا تميزولا تدري ما يدور حولها، فيما أخذت الأم تبكي.

كانت لينا تتفوه من حين لآخر بكلمات مشوهة، ميّز والداها منها:" الأوضة البيضة"، و"العفريت"، و"سوزان". وحين حضر الأطباء شخصوا حالة لينا بصدمة عصبية خفيفة من ناحية، ومن ناحية أخرى أقروا بأنها تعاني من سوء في التغذية، وعلقوا لها محاليل طبية، وأوصوا لها ببعض الأدوية، ووجدوا أن حالتها ليست في حاجة إلى أن تنتقل للمستشفى في حال تلقت العناية اللازمة في المنزل.

فيما غادر الأطباء، تناول الأب هاتفه، وأبلغ وزير الداخلية بعودة لينا، وقبل مرور ساعة حضرت الشرطة متمثلةً في اللورد حسام.

طلب اللورد أن ينفرد بلينا لعدة دقائق، فوافق الأب، دافعاً الأم خارج الغرفة، وحين خرجا تأكد اللورد أن الباب مغلق بإحكام، ثم جلس بجوار لينا على سريرها، وتأملها للحظات، ثم قال:

- ازيك يا لينا؟

لم تجب.

- ايه اللي حصل يا لينا.

تشنجت الفتاة، وجحظت عينيها، وبحركة خاطفة نشبت أظافرها في خد اللورد فجرحته، فيما لم يهتز اللورد:

- أنا عارف كل حاجة، اتكلمي.

تمتمت لينا:

- سوزان.. سوزان... عايزة سوزان.

- هجيبلك سوزان حاضر بس اتكلمي.

صرخت لينا:

- سوزان.

ابتسم اللورد، واقترب منها ومال بفمه على أذنها:

- أنا عارف إن ما فيكيش حاجة.

وغادر الغرفة.

-78-

منذ الفيديو الأخير، الذي بثه دهار، استجاب كثيرون، ليس فقط بتغيير صورهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي بصورة قناع دهار، وانما أيضاً نشبت بعض المشاحنات مع عدد من رجال الشرطة، متمثلة في اعتراضات على مخالفات سير، أو معارضة لتفتيش سيارة في الكمائن، كذلك نشبت شجارات في أماكن استخراج البطاقات والرخص المرورية، حيث احتج كثير من المواطنين على الطريقة، التي يعاملون بها ورفض آخرون الرشوة، التي طلبت منهم لإنجاز طلباتهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد ليشمل المصالح الحكومية، التي اعتاد موظفوها على الحصول على رشوة لإنجاز أعمالهم، فيما بدأ الكثيرون من المقبوض عليهم في قضايا شتى يصرون على أنهم دهار شخصياً، أو أنهم تلقوا أمراً شخصياً من دهار للقيام بالجرائم، التي قبض عليهم بسببها.

لكن عموماً لم يتعد الأمر كونه حالات فردية، ربما أثرت في مجريات الأمور، لكن تم احتواؤها باستعمال العنف أحياناً أو بالقبض على مثيري تلك المشاغبات أحياناً أخرى.

من ناحية أخرى، تحول منزل شهاب وسوزان إلى ثكنة عسكرية، أما جيهان فحبست نفسها في غرفة بمنزل أخيها بسبب الصدمة، التي تعرضت لها، أما سوزان، فمنذ عادت من المؤتمر الصحفي، شعرت باكتئاب شديد، وتملكها خوف مضاعف لم يخففه انتشار أفراد الشرطة حول منزلها، أما شهاب، فمارس حياته بشكل طبيعي، وكأن شيئاً لم يحدث.

بعد خروجه من قصر الصريطي، اتصل اللورد بسوزان، وحين رأت الأخيرة رقم اللورد تبدلت حالتها، وانفرجت أساريرها ظناً منها بأن اللورد يتصل بها فقط للاطمئنان عليها، لكنها فوجئت به يطلب منها أن تستعد لتذهب معه لزيارة لينا، التي ظهرت فجأة في منزل أبيها هذا الصباح.

-79-

بعد أربعين دقيقة من مكالمتهما الهاتفية، كانت سوزان في سيارة اللورد، التي تشق طريقها باتجاه قصر الصريطي. لم تكن لدى سوزان أدنى رغبة في لقاء صديقتها القديمة أو حتى الاطمئنان عليها، لكنها أخفت هذا، وتصنعت الاهتمام، وأمطرت اللورد بأسئلة حول حالتها.

لكن سوزان لم تستطع أن تمنع نفسها من محاولة فض الغموض، الذي يحيط بشخصية اللورد، فأجاب الأخير عن أسئلتها باقتضاب، ووجه لها سؤالاً غامضاً لا يمت بصلة لحديثها:

- لو افترضنا أن دهار عايز ينتقم منك، ومن باقي الشلة، إيه مصلحته في البروباجندا ديّه؟

أجابت سوزان بعصبية لم تتمكن من كبحها:

- إنتم نفسكم قلتم إن هوّ مجنون، والمجنون ماينفعش نفهم تصرفاته!

أجابها بهدوئه المعتاد:

- كلمة مجنون كلمة بنستخدمها من غير وعي بتعريفها، وبالنسبة لي هو مش مجنون أبداً، ده شخص بيتصرف حسب منهج وخطة.

وصمت لحظة، ثم أردف:

- أنا اتعلمت إني لازم أفترض إن عدوي أذكى مني،مهما كنت متأكد إن إمكانياته محدودة، بكده بضمن الانتصار.

استعادت سوزان هدوءها، أو على الأقل نجحت في أن تبدو هادئة:

- حتى لو عنده خطة، ده إنسان مش طبيعي.

اكتفى بابتسامة، فأكملت سوزان بدلال:

- ولّا انت مش خايف عليّ... قصدي سيادتك مش خايف عليّ.

صدها:

- الشرطة في خدمة الشعب يا مدام سوزان.

- وقعت عليها كلمة مدام كالصاعقة فلاذت بالصمت، وحين وصلا إلى القصر، طلب منها اللورد أن تحافظ على رباطة جأشها، مهما قامت لينا بتصرفات غريبة.

في القصر، رحب والدا لينا بسوزان بشكل طبيعي، وكأن المعلومة، التي وصلت إليهم عن تسبب سوزان في مقتل ابنتهما فرح لم تصل إلى مسامعهما أصلاً، مما أثار اشمئزاز اللورد، الذي بقي صامتاً، حتى دخل مع سوزان إلى غرفة لينا منفردين ليجداها في فراشها مرتديةً الجلباب الأبيض نفسه، وفي عينيها نظرة تائهة، ولم تتنبه لدخولهما.

تبعت سوزان اللورد بخطوات متوترة، حتى وصلا بمحاذاة سرير لينا، هناك أشار اللورد بعينيه إلى سوزان لتبدأ بالحديث، فخرجت الكلمات بصعوبة من فمها:

- لينا... ازيك؟

نظرت إليها لينا بذهول، ثم أدارت رأسها.

- لينا... أنا سوزان... صاحبتك... لينا؟

خبطت لينا على السرير بيدها، وكأنها تدعو سوزان للجلوس بجوارها، فارتابت سوزان، لكن اللورد شجعها على أن تجلس بعينيه، ويمناه التي أشارت إلى السرير، فما كان منها إلا أن رضخت لرغبة صديقتها القديمة، وجلست بحذر على مسافة قريبة منها.

مرت لحظات ساد فيها هدوء شجع سوزان على أن تربت على كتف لينا، فما كان من الأخيرة، إلا أن أدارت رأسها ناحية سوزان بهدوء، وما هي إلا لحظة، وجحظت عينا لينا، وفتحت فمها كحيوان مفترس، فيما انقضت بجسدها على سوزان، ونبشت أظافرها في وجهها، فتهاوت سوزان على السرير:

- يا (...) يا بنت الـ (...) انتي السبب في اللي احنا فيه... انتي اللي قتلتي أختي.

صرخت سوزان من الألم والخوف، فيما صبر اللورد لحظة كمن يعطي لينا فرصة قصيرة للتفريغ عما في جوفها، لكنه سرعان ما تدخل لتخليص سوزان، التي كانت صرخاتها كافية ليخترق باب الغرفة كلا من والدي لينا وبعض الخدم.

بصعوبة، تم تخليص سوزان من براثن لينا، التي ظلت تصرخ، وتضرب يديها بطريقة عشوائية في أجساد الخدم، الذين تمكنوا من الإمساك بها، أما سوزان، فقفزت مذعورة بجسدها بعيداً عن السرير، وهرولت إلى خارج الغرفة، ثم قفزت السلالم المؤدية إلى الباحة الواسعة، ومنها إلى باب القصر، ليلحق بها بعد دقيقة اللورد، وبعده والد لينا، الذي ظل يعتذر طويلاً لسوزان.

في طريقهما إلى منزل سوزان، حاول اللورد التخفيف عن سوزان، لكن الأخيرة ظلت في حالة يرثى لها تتحسس وجهها ورقبتها، وتمسح آثار الدماء، التي خرجت من الجروح، التي سببتها لها لينا بأظافرها،لكن قبل أن تصل إلى المنزل، سألت اللورد بصوت مهزوز:

- ممكن لينا تكون هىّ دهار؟
- كل شيء جايز.

-80-

قبل حلول المساء، كانت الشرطة تلقت بلاغات كثيرة عن جرائم تنسب لدهار أو لفكره، ومنها خادمة تقتل سيدتها حرقاً كانتقام من سيدتها، التي ظلت تعذبها لسنوات، وعامل يطعن مديره، الذي كان يضطهده في العمل، وشابة تفقد رجلاً ذكورته، بعد أن ركلته عدة مرات ما بين قدميه، بعد أن تحرش بها، وقيام مجموعة من الطلبة بالاعتداء بالضرب المبرح على أحد المدرسين، الذين عرف عنهم القسوة واللسان القذر، ولم تفلت أكمنة المرور من المشاحنات مع المواطنين،الذين عانوا من تعنت القائمين عليها،وجرائم أخرى من هذا القبيل، جرائم نبعت من آثار ظلم طويل عانوا منه صاغرين، حتى أثارتهم كلمات دهار.

أما الإعلام، فلم يذكر أيا من تلك الحوادث، لكن مستخدمي شبكة الإنترنت لم يتوقفوا عن نشر تلك الأخبار– مع إضافة بعض التفاصيل المثيرة– على صفحاتهم الشخصية.

-81-
مع اقتراب الساعة العاشرة مساءً، بث دهار فيديو جديد:
ظهر دهار خلف مكتبه في الهيئة نفسها، التي اعتاد الظهور بها:
" كلنا مجرمين وكلنا ضحايا،
أغلبنا بيفضّل يظهر بمظهر الضحية، وقليلين بيعترفوا بإنهم مجرمين، لكن لما لينا الصريطي طلبت مني أنتقم لأختها، عرفت إنها من القليلين اللي اعترفوا بإنهم مجرمين، وكان لازم هتنفسها تتعاقب عشان تتطهر".
عرض دهار مشاهد صورت من الغرفة البيضاء، التي حبست فيها لينا عدة أيام، وظهرت لينا في اللقطات الأولى متماسكة، ثم أخذت حالتها تتدهور، فتارة تلطم على وجهها، وتارة تقطع جسدها بأظافرها.
عاد دهار مرة أخرى:
" التعذيب النفسي هو أسوأ أنواع التعذيب، مع لينا استعملت الأوضه البيضه، ده مكان بيفصل الإنسان عن الزمن لغاية ما بيفقد إحساسه بالواقع، مفيش شمس وقمر ولا ساعة، مفيش حد يتكلم معاه، مفيش غير لون أبيض، حتى الأكل رز! ده بيسبب هلاوس، وممكن يكون له تأثير مايتعالجش أبداً على أي انسان لو قعد وقت طويل في المكان ده. أنا اعتبرت ده علاج لروح لينا اللي بتتعذب، ولينا خلاص طلعت من هنا شخص جديد.
شايفين ان اللي بعمله دهعنيف؟ الضمير أعنف بكتير من كل ده، لكن مين لسه عنده ضمير؟
حاسب نفسك، قبل ما غيرك يحاسبك."

واستطرد:
" لو الكلام ده بيعنيلك أي حاجة حط صورة الـMask بدل صورتك، خلي اللي شايف انك كم مهمل يعرف انه لازم يخاف..".
انتهى الفيديو بالنهاية المعتادة.

***

مع نهاية بث الفيديو، الذي تابعه الملايين، تضاعف عدد واضعي صورة قناع دهار بشكل مخيف استجابة منهم لطلبه، بالطبع لم تكن حسن النية هى السبب، الذي دفع هذا الجمع الكبير لتلبية نداء دهار، فبعض الناس أرادوا أن يظهروا بمظهر الثائرين، وآخرين كانوا من المجموعة، التي لا تهدف لشيء سوى لإسقاط الدولة، وآخرين ظنوا بأن وضع تلك الصورة سوف يجذب الجنس الآخر، أما الغالبية العظمى من المستجيبين، فكانت من هؤلاء، الذين تمنوا لو كان دهار يمتلك عصاة سحرية يمكنه بها أن يغير حياتهم، قليلون فقط هم من فكروا في كلمات دهار، وفهموا أنه لا يطلب منهم مجرد تغيير لصورة على حساب على الإنترنت، وإنما يطلب دعماً، ليس دعماً لشخصه، وإنما دعما لفكر.
بالطبع كان أغلب الناس ضد دهار، معللين ذلك بأنه مجنون وسادي ومدسوس، وربما أيضاً جاسوس! وكان هذا هو الرأي السائد في أغلب القنوات التليفزيونية، التي ضربت عرض الحائط بقرار وقف النشر عن دهار.

-82-

**اليوم السادس عشر**

قرابة السادسة صباحاً، ارتجت أركان قصر الصريطي على دوي انفجار في المرأب، كانت مجرد قنبلة صوت، لكنها نجحت في إخراج كل قاطني القصر مهرولين نحو مصدر الصوت، وهذا ما خططت له لينا– بمساعدة دهار– حيث أرادت إخلاء القصر تماماً قبل أن تقوم بوضع قنبلة صغيرة يتم تفجيرها عن بعد تحت سرير والديها، وتخرج من القصر، وقد ارتدت ملابس طبيعية في اتجاه بعيد عن المرأب.

حين خرجت لينا من أحد أبواب القصر الجانبية، ووصلت إلى الشارع، أخرجت جهازاً صغيراً في حجم هاتف محمول، وكبست الزرار الوحيد الموضوع عليه، ليرتج القصر مرة أخرى على دوي انفجار حقيقي هذه المرة.

لم تكن لينا تخطط لقتل أحد، وإنما فقط أرادت أن تتحرر من ذكرى رؤية خيانة والدتها لأبيها، وخيانة أبيها لأمها على فراش الزوجية، ذلك السرير، الذي وضعت قنبلة تحته يمثل لها ما يشبه عقدة فرويدية أرادت أن تتحرر منها قبل أن تتحول بكامل نفسها وروحها وجسدها إلى دهار.

توقفت لينا لحظة تراقب النيران الخارجة من غرفة أبويها، قبل أن تقفز في سيارة جيب سوداء كانت في انتظارها على مسافة قريبة من سور القصر.
ولأن الانفجار كان مدوياً، لم يتمكن الاعلام من تجاهل الأمر، فصدرت أوامر عليا بأن يتم إرجاع سبب الانفجار- أو الحريق كما أطلق عليه- إلى ماس كهربي!

-83-

قضى اللورد قرابة ساعة في القصر مع محققي الشرطة، الذين جاءوا بحثاً عن أي دليل، وكما خمّن اللورد، لم يكن هناك أي دليل يمكن اقتفاؤه لا للكشف عن حقيقة القنبلة- سوى أنها بدائية الصنع- ولا عن خيط يقود لمكان لينا، التي اختفت تماماً.

ترك اللورد المحققين لبحثهم، ولم يعر انتباهه لقلق والدي لينا على ابنتهما، لقد رسمت الحقيقة أمام عينيه، الحقيقة التي تجاهلها الوالدان كونهما سبب نكبة ابنتيهما فرح ولينا على حد سواء، لكنه توصل إلى حقيقة جديدة، وهى أن لينا أصبحت من فريق دهار، ليس الأمر مجرد متلازمة ستوكهولم، التي يقع فيها المخطوف في علاقة مع الخاطف،وإنما شيء أكثر عمقاً وتطرفاً، فالخاطف، الذي عذب لينا استطاع بطريقة ما أن يؤثر عليها، ويجعلها تعتنق فكره الانتقامي، فحطمت عقدتها تجاه والديها بتفجير غرفتهما، ذلك التفجير، الذي على الأرجح تم بمساعدة الخاطف نفسه، الذي قدم لها أيضاً وسيلة للهروب، كما قدم لها القنبلة، ولأنه كان استنتج مسبقاً هوية الخاطف- دهار- لم يقع في خطأ باقي أفراد التحقيق، الذين رجحوا أن لينا شخصياً هى دهار.

في أحد المقاهي الفاخرة، جلس اللورد في ركن منزوٍ لاحتساء قهوته الصباحية، التي تأخرت، وأخذ يدخن غليونه بتمهل، وبيده الأخرى يلعب بقطعة الشطرنج السوداء الملكية. لم يكن من النوع، الذي يكثر الندم، لكن في هذا الصباح بالذات أخذ يراقب الدخان، الذي كان يرتفع قليلاً، ثم يتبدد في الهواء، فلا يعود له وجود، ولأول مرة تتراءى له في الدخان روحه

شخصياً، وما هى الروح؟ أهي نار أم دخان؟ لم يكن هذا مهم بالنسبة له، فالنار تخمد تاركةً من رونقها وحرارتها رماداً ترابياً، والدخان سرعان ما يتبدد، وكذلك الروح سرعان ما تخرج من الجسد،ويذهب كل شيء معها، ربما اختاره دهار أن يكون ضحيته القادمة، لكن هذا لم يكن ليخيف شخصا مثله، على العكس تمنى لو قابل دهار شخصياً، دهار، وليس الشخص خلف القناع، فالشخص بالنسبة له معروف، أما القناع فيمنح طاقة غريبة حتى ولو كان قناع حفلات رخيص، وذلك القناع منح صاحبه الإلهام وخلق دهار وفلسفته ربما لو وقع ذلك القناع في يد شخص آخر لما تعدى كونه مجرد قطعة بلاستيكية صماء، وربما كان مصيره مكب نفايات، لكن لسبب ما وقع القناع في يد شخص كان في تمام استعداده أن يعتنق ذلك القناع... تمنى لو قابل دهار، وساعده في تحريك القطعة الصحيحة في لعبة الشطرنج، تلك القطعة،التي لو حركها لسجن الشاه ومات... قطعة يملكها اللورد شخصياً.

فيما أطلق اللورد العنان لأفكاره أن تحلق عالياً، كان دهار ينفذ خطوة جديدة في خطته، تلك المرة معتمداً على لينا.

-84-

اتصل أسامة بسوزان، وبدا صوته مضطرباً، وطلب منها أن توافيه في أسرع ما يمكن إلى سيارته، التي تقف بجوار المنزل، وحين طلبت منه سوزان أن يأتي إلى المنزل رفض بحسم، فظنت أنه يتلاشى شهاب زوجها.

لم تكن راغبة فعلاً في لقائه، لكنها رضخت لطلبه، ومنّت نفسها بلقاء مع اللورد.

في خلال خمسة عشر دقيقة، كانت سوزان اطمأنت إلى أن وليد -ابنها- في رعاية عمته، التي لم تعد تخرج أبداً من المنزل بعد الصدمة، التي تعرضت لها، وخرجت بتململ من بوابة المنزل لتسير لمدة دقيقتين إلى المكان، الذي وصفه لها أسامة.

هناك وجدت سيارة أسامة الألمانية ذات الزجاج "الفاميه" واقفة، فتحت سوزان باب السيارة، وألقت بجسدها على الكرسي المجاور للسائق، وما إن أغلقت الباب، حتى انطلق أسامة دون أن ينبث بكلمة، وارتد جسد سوزان إلى الخلف مع الانطلاقة القوية للسيارة:

- فيه ايه يا أسامة؟ انت هتموتنا كده!

ارتج كيان سوزان، وهى تسمع ضحكات شيطانية من المقعد الخلفي للسيارة، وبجسد مرتجف نظرت إلى الخلف، لتجد لينا بوجهها المكسو بطبقة من مستحضرات التجميل لتخفي آثار أظافرها الدموية، لكنها بدت أكثر جنوناً مما رأته سوزان في قصر الصريطي، في يدها اليمنى كانت تلوح بقناع دهار، وبيدها الأخرى فتحت سحاب الجاكيت، الذي ترتديه لتدرك سوزان هول المصيبة، التي وقعت فيها!

كانت لينا ترتدي ما يشبه حزاماً ناسفاً، وهكذا خمنت سوزان ما حدث تقريباً، ومر أمامها شريط سينمائي يمثل لها كيف اعترضت لينا طريق أسامة، ربما وهو في طريقه لركوب سيارته، وحين ركبت معه هددته بتفجير نفسها، وطلبت منه أن يتصل بها، وهذا ما أكدته لينا، وهى تتحدث بنبرة معتوهة:

- حتى الظابط اللي كنتي فاكراه هايحميكي مش هايعرف يحمي نفسه!

جمعت سوزان الكلمات بصعوبة:

- ليه يا...

انقضت لينا على فم سوزان وأنفها بقطعة قماشية تحوي مخدراً، فما كان من الأخيرة، إلا أن تاهت في غيبوبة دون مقاومة تقريباً، فيما أسامة يجيل بنظرات حائرة ما بين الطريق والمرآة لمراقبة خاطفته.

-85-

قرب المساء، استقبل اللورد حسام تاج خبر اختفاء سوزان وأسامة بضحكة كتمها بصعوبة، بالأخص أن الشرطة لم تكن ربطت بين اختفائهما وهروب لينا، أما اللورد فظهر أمامه الأمر جلياً واضحاً، وتوقع أن تقوم لينا بدور دهار في الفترة القادمة، فيما حجبت أخبار الاختفاء الثلاثي في هذا اليوم عن الصحافة والاعلام تماماً بالرغم من أنه من المتوقع أن يبث دهار فيديوهات جديدة تكشف كل شئ كعادته، وفكر أولو الأمر في قطع الإنترنت عدة أيام، حتى يتم القبض على دهار، لكن كانت هذه الفكرة هشة ستبرز ضعف الحكومة، وخوفها ممن تصفه رسمياً بالإرهابي النكرة.

من ناحيته، وجه السيد وزير الداخلية كامل طاقة الشرطة للبحث عن دهار ومنعه من بث فيديو جديد، كانت تلك المرة الثالثة، التي يوجه فيها كامل طاقة الشرطة للبحث عن دهار في خلال اليومين الآخرين. تلك الشرطة، التي راقبت منزل سوزان نهاراً وليلاً، لكن لم تفطن إلى مراقبة سوزان نفسها، وهى تخرج من منزلها!

وهكذا، أكد اللورد لسيادة الوزير أن الأمر بسيط، وأن القضية قريبة من الحل، وأن دهار قربت نهايته بفضل توجيهات معاليه الحكيمة، وبالرغم من تظاهر اللورد بالاهتمام وإعطاء الأوامر- بالهاتف أغلب الوقت- إلا أن كل هذا لم يكن سوى تضييع للوقت، حتى يبث دهار فيديو جديد ينتظره بلهفة شديدة، وكنوع من الترفيه، استدعى شهاب ليجري معه دردشة قصيرة حول اختفاء سوزان، وما إذا كان يشتبه في أحد، إلا أن الأخير

بدا أمامه أضعف بكثير من ممارسة بعض الألعاب النفسية عليه، فضجر منه وصرفه.

-86-

**اليوم السابع عشر**

عند منتصف النهار تقريباً، انتهى انتظار اللورد، وتم بث فيديو دهار الجديد:

بدأ الفيديو كالعادة بدهار جالساً خلف مكتبه:

" السيدات والسادة،

لاحظت أن الإعلام تجاهل اختفاء الرائد أسامة طنطاوي، ومدام سوزان عبد الحكيم– أخذ يضحك لحظات– بس عموماً أنا خطفتهم، الظريف فعلاً إن سوزان كانت متوقعة أن حضرة الظابط هيحميها، وأنا خطفتهم في اليوم نفسه. بالنسبة للظابط، هتشوفوا هنظهره من جرايمه ازاي بعد شوية، لأنه بغض النظر عن مساعدته في جريمة قتل فرح، إلا إنه كمان انتهك القانون كتير وده شيء يستاهل العقاب، أما سوزان فهاتكون الـMasterpiece ومش وقتها دلوقتي... فيه اختلاف واحد، المرة ديّه مش أنا اللي هاعاقب المجرم، فيه دهار تاني، شخص اتقبّل العقاب، وروحه اتحررت فعلاً."

أظلمت الشاشة لحظة، ثم ظهر أسامة مكمم الفم عاري الصدر ،وتم تقييده من يديه وقدميه على شكل حرف X على مجسم خشبي معروف في السجون باسم العروسة، وكانت تستخدم في ربط السجين قبل جلده، وظهر دهار في المشهد، هذه المرة لم يكن ذو جسد مفتول العضلات، بل بدا ضئيلاً، وهو يضحك ضحكات أكثر جنوناً من خلف القناع، وفي يده سوط يتكون من مقبض يتدلى منه تسعةحبال جلدية(7). قام دهار– الجديد– بلف السوط عدة مرات في الهواء، وضربه

على الأرض ليصدر صوتاً تقشعر له الأبدان، فيما وجه أسامة يتصبب عرقاً، وفي عينيه نظرة مرتعبة، وعلى فمه صرخات يعجز عن إخراجها، وحين انتهى دهار من استعراض سوطه، انهال به على جسد أسامة، الذي احمر وجهه مع أول جلدة، فجلدة واحدة من هذا السوط توازي تسع جلدات من سوط عادي، إذ يتسبب في تسعة خطوط متوازية من الجروح كلما هوى على جسد الضحية، أما دهار فبدا مستمتعاً بعمله، وأخيراً توقف، وخلع القناع ليكشف عن وجه فتاة تشع عيناها كعيني حيوان مفترس، فيما ارتسمت على شفتيها ابتسامة عدوانية، فتاة بالرغم من جمالها، وحياتها المرفهة استطاعت أن تتخطى عقاب دهار، وتصبح هى نفسها دهار.

أظلمت الشاشة، ثم عاد دهار مرة أخرى- دهار الأول- إلى المشهد خلف مكتبه:

" أنا اخترت الأسلوب ده مع الظابط لأني عارف إنه مستعمل لغاية النهارده في السجون، أسامة ظابط، وأنا عرفت أخطفه، مفيش حد في أمان مني، فيه ناس لازم تعرف إني أقرب لها من ضلها.

انتهى الفيديو.

-87-

بعد بث الفيديو بساعة تقريباً، تلقت الشرطة اتصالاً من "فاعل خير" يفيد بوجود جسد شخص غارق في دمائه في أحد الورش المهجورة بالمنطقة الصناعية بالسادس من أكتوبر. لم تتمكن الشرطة من تعقب المكالمة، لكن سيارات النجدة مصحوبة بسيارتي إسعاف سرعان ما وصلوا إلى المكان، الذي وصفه "فاعل الخير" ليجدو أسامةمقيدا بأصفاد في يديه وقدميه، وجسده ملفوف ببشكير أبيض كبير تخضب بالدم، وتم نقله سريعاً إلى مستشفى كبير بمدينة السادس من أكتوبر.

لم تكن الجراحات الناتجة عن السوط غائرة، وبالرغم من فقدان أسامة لكمية من الدم، إلا أن حالته كانت مستقرة إلى حد كبير، وسريعاً قام الأطباء بتنظيف وتطهير الجروح وحياكة تلك التي استلزمت بعض الغرز.. أما المستشفى فتم تحويطه بقوات الشرطة، وتم منع كل ممثلي الصحافة والإعلام من مجرد الاقتراب منها.

حين وصل اللورد إلى المستشفى مع دخول المساء، استمع إلى حديث جانبي بين ثلاثة ضباط مفاده أن ما حدث كان صفعة على وجه كل شرطي، وأن الطريقة المستخدمة مع أسامة فيها تعمد واضح لإهانة الشرطة ككل، وأضاف أحدهم: أن الجروح، التي سببها السوط لم تكن مميتة، وكأن الارهابي أراد أن يفضح أسامة على الملأ، ثم يتركه ليعيش في عاره.

استمع اللورد إلى تلك الأحاديث، وغيرها في صمت، وهو يسير بخطوات رزينة صوب الغرفة، التي يقبع فيها أسامة، وحاول الطبيب مرافقته إلى داخل الغرفة، لكنه رفض بحزم.

كانت الغرفة واسعة نسبياً، وكان الضوء خافتاً، وعلى عكس عادته لم يتوقف اللورد لحظة لتأمل المكان المحيط به،كما يفعل كلما دخل إلى مكان جديد، لكنه كان يتنفس باضطراب، وهو يقترب من أسامة، الذي انتبه لوجوده، ومال برأسه نحوه.
توقف اللورد بالقرب من السرير، ومال برأسه نحو أسامة،الذي اتصل جسده بمحاليل وخراطيم وأسلاك طبية كثيرة، وتوكأبيده اليمنى على طرف السرير:

- ماعجبنيش تفجير البيت.

سرت رعدة في جسد أسامة، الذي ارتسم على وجهه ملامح ذهول ممزوجة بخوف حقيقي.

-88-

استيقظت سوزان من غيبوبتها، وجسدها يصرخ من ألم لم تختبره من قبل، شعرت بما يشبه قماشة في فمها مما جعل لعابها يسيل على ذقنها، وبتثاقل فتحت عينيها لتجد ظلاماً حالكاً يحيط بها، وكذلك ساد الصمت. كانتفي وضع غريب، فكانت مقيدة إلى كرسي بمسند لليدين، يداها مقيدتان إلى المسندين بحبل وبأصفاد، وجسدها مقيد إلى ظهر الكرسي بحبل، وكذلك بسلسلة حديدية، أما قدماها، فمقيدتان إلى قدمي الكرسي الأماميتين، لكن مقعدة الكرسي كان بها ثقب واسع، فتدلى جزء من مؤخرتها فيه، ومن تحت الثقب دلو يستخدم بالطبع لقضاء الحاجة.

لم تكن سوزان ترتدي سوى جلباب أبيض، كالذي ارتدته لينا، حين سكنت الغرفة البيضاء. كانت الحبال مربوطة بإحكام مما منع سوزان من التحرك تماماً، عدا رأسها، الذي أخذ يتحرك بتوتر في كل الاتجاهات، وهى تحاول عبثاً أن تصرخ، بعد دقائق من استيقاظها، شعرت بخطى أقدام تقترب منها، لكن الظلام ظل ساتراً لهوية الدخيل، مما ضاعف من قلق سوزان.

لم يكن الدخيل سوى لينا في جلباب أبيض، ويتدلى من فمها سيجار كبير تنفث دخانه، واقتربت من سوزان، وأشعلت قداحة أمام عيني الأخيرة، محركةً اللهب أمامها، بذلت سوزان جهداً مضاعفاً للصراخ، فيما اكتفت لينا بابتسامة صفراء، وأخرجت السيجار من فمها، وهى تنفث دخانه في وجه ضيفتها:

- أنا مش هاقتلك، ماتخافيش.

لكن هذه الكلمات لم تكن مطمئنة أبداً لسوزان، التي عرفت ما يعنيه عدم القتل عند دهار، فأكملت لينا:

- لما قتلتي، قصدي قتلنا فرح، ماحستش إن الموضوع فرق معايا، لكن لما كنت بقعد لوحدي كنت بتألم، وطبعاً كنت بلومك انتي بس، وفي يوم طلبت، وانا سكرانة من حد إنه ينتقم، وماتخيلتش إنه هايعمل حاجة، ونسيت الموضوع كله، لكن واضح إن الشخص ده مانسيش، وقرر ينتقم فعلاً، مش بس مننا.

قرّبت لينا يدها اليسرى من شعر سوزان، فراقبتها الأخيرة بقلق، لكن لينا لم تفعل شيئا سوى أنها عبثت بشعر رهينتها:

- أنا مش بكرهك يا سوزان، أنااتعلمت كتير، وصدقيني روحي اتطهرت، أنا بس آمنت بحاجات جديدة، منها: إن القانون لازم يتطبق.

كانت لينا تتحدث، وكأنها طفلة بريئة تبرر موقفها لأمها، ومازالت تحرك نار القداحة أمام وجه سوزان، وتعبث بشعرها:

- على فكرة مش دهار اللي حط ابنك في كيس الزبالة، ولا هوّ اللي عمل كده في باتشي.

جحظت عينا سوزان غير مصدقة، فأكملت لينا، لكن حوّلت نبرتها البريئة الهادئة إلى فحيح أفعى، وألقت النار ظلالاً مخيفة على وجهها:

- شهاب جوزك هو اللي عمل كده، دهار بس اداله أول خيط، عارفة ليه؟ عشان كان عايز يورثك، ويلبسها في حد تاني.

ضحكت لينا بجنون، وهى تشد شعر سوزان بقوة آلمتها:

- قريب هوّ كمان هايتعاقب.

وصمتت لحظة، وهى تجذب نفساً من سيجارها، ثم عادت بنفس الصوت الجهنمي:

- كان المفروض تموتي نفسك بالمشرط يوم 20 فبراير، الموضوع كان هدفه التطهير مش قتلك، لأن كان في الوقت المناسب كل حاجة هاتقف، بس للأسف انتي فضلتي زي ما انتي، ومافكرتيش غير في نفسك وبس، عشان كده مابقاش عندك حرية انك تنتحري.

حاولت سوزان أن تهز رأسها في علامة للنفي، لكن لينا لم تأبه لها وأطفأت القداحة:

- ماتخافيش على طارق.

-89-

تأمل اللورد وجه أسامة المرتعب للحظات، ثم ابتسم:

- ماتقلقش، أنا عارف كل حاجة.

جحظت عينا أسامة، لكنه ظل صامتاً:

- تفتكر ليه ماقبضتش عليك؟

رد أسامة بصوت متحشرج:

- أنا مش فاهم حاجة.

التمعت عينا اللورد، وجزّ على أسنانه، فيما قبض بيده اليسرى على عنق أسامة، فتأوه الأخير، لكن اللورد سرعان ما أفلته، وعاد إلى هدوئه:

- ماتستهبلش، بإيدي أوديك في ستين داهية...اللي بتعمله ده خطر، أنا جيت هنا عشان أساعدك... ماتبقاش غبي.

أخرج اللورد قطعة الشطرنج الملكية السوداء، ووضعها في يد أسامة اليسرى:

- أعتقد إنك في الآخر هاتطلب من الناس انها تخرج وتعمل ثورة، ده هايكون أغبى حاجة ممكن تعملها، اللي اديتهولك هو أسلم حل.

التفت اللورد، كمن همّ بالخروج، لكنه استدار إلى أسامة مرة أخرى:

- فكرت إني أساعدك من الأول، لكن ماكنتش متأكد من نواياك، لكن لما شوفتك، وانت بتتقبل العقاب زيك زي التانيين اتأكدت اني هاعمل حاجة صح.

فيما همّ اللورد بالرحيل، سأله أسامة بنبرة قلقلة متقطعة:

- هوّ سيادتك عرفت منين؟

ضحك اللورد:

- الحياة كلها معادلة حسابية، من ساعة ما كنا مع بعض في أمن الدولة كنت حاسس وعارف انك مختلف، ولما عرفت موضوع دهار، وعرفت إن ليك علاقة بالقضية راقبتك.

واستدار مغادراً.

-90-

لا يوجد أثر له ولا بصمات ولا أي شيء... لم يخطئ أبداً... من المؤكد أنه على دراية بأساليب الشرطة في التحقيقات... سيارة لينا حرقت، وكذلك تم تفجير سيارة أسامة... ماذا يريد بالضبط؟... مؤكد أننا سنقبض عليه... سنكشف قناعه، ونضربه إلى الموت، وننكل بجثته... حتى ولو كان شيطانا، فقد عبث مع من هم أخطر من الشياطين... يظن نفسه بطلاً؟ مجنون!...

الشعب الجاهل يمشي وراء وهم... هؤلاء الجهال يريدون أن يشعلوا البلد... والله لننتقم لك يا أسامة.

كانت هذه بعض من التعليقات- المهذبة- لضباط الشرطة، الذين ظهروا على البرامج التليفزونية يبررون ما حدث، وينتقدون دهار، ويتوعدونه، وكذلك استضافت بعض البرامج محللين نفسيين لتحليل نفسية المجرم، ومحاولة تفسير أفعاله، والتنبؤ بخطواته القادمة، فأرجع أغلب هؤلاء المحللين ما يفعله دهار إلى عقدة تعرضه إلى عنف مبالغ فيه في صغره، وأن هذه العقدة تقف عند عتبة الشعور فلا يدرك أنها سبب أفعاله- وهذا النوع من التفكير الفرويدي لم يعد صحيحاً عموماً- وآخرون أكدوا أنه لا يعاني من أي خلل نفسي، عدا أنه يقوم بتنفيذ مخطط خارجي يهدف إلى تدمير مصر.

ولأن أسامة لم يكن لديه ما يفعله سوى مشاهدة التلفاز، فتابع تلك البرامج متصنعاً التأثر، كلما دخل أحد الأطباء أو الممرضين، أو أحد زملائه في العمل إلى غرفته، لكنه في داخله كان يضحك بالرغم من الألم، الذي ما يزال يعاني منه.

في يده كان يقلب قطعة الشطرنج المجهولة، التي أعطاها له اللورد، ويحاول فهم كيف ستكون مجرد قطعة شطرنج هى الحل الأمثل لخطته، والأهم من هذا كيف عرف اللورد بحقيقته، وكيف خمّن خطته، ولماذا قرر أن يساعده؟ربما حوت قطعة الشطرنج تلك جهاز تتبع أو تصنت، لكن ما الفائدة من هذا؟ فلو شاء اللورد لقبض عليه، وأنهى الأمر! وأخذ يهز الملك الأسود في يده ليستمع إلى صوت غريب بداخله، وكأنه يحوي قطعاً تحدث صوتاً عند اصطدامها ببعضها البعض، وأخذ يتحسس قطعة الشطرنج ليكتشف أن قاعدة التمثال يمكن لفها.

هكذا فتح القاعدة لتسقط في يده عدة بطاقات ذاكرة من الحجم الصغير من سعة 128 جيجا للواحدة، فأعادها بسرعة إلى التمثال،وأغلق قاعدته.

دارت تخمينات كثيرة في خلد أسامة، لكنه وجد نفسه يتذكر لينا حين جاءت إليه مخمورة في أحد الأيام، وطلبت منه أن ينتقم لها. كانت حياته خاوية في ذلك الوقت، وظن أنه بحتاج إلى مغامرة، مغامرة مجنونة، لكنه كان متأكداً أنه مهما فعل، فلن يتمكن أحد من إثبات أي تهمة عليه، هذا بجانب أن في ظروف كالظروف الراهنة لن يهتم أحد بقتل شخص كسامح نجم أو سوزان طنطاوي، أما مروان الطحاوي فكان أخطرهم لأنه نجم مشهور، لكن لأنه كان على دراية بفضائحه الجنسية أدرك أنه قد يتمكن منالصاق قتله بأحد عاشقيه أو عاشقاته.

ثم أتى ذلك اليوم، الذي استعمل فيه بطاقة هوية مزورة، وسار وسط الثوار بميدان التحرير وصولاً إلى وزارة الداخلية.. هناك كان الغاز المسيل للدموع، وطلقات الخرطوش، وساد الهرج

والمرج، أما هو فاختبأ وحيداً في أحد الشوارع الجانبية، حتى هدأ كل شيء، ثم خرج مرة أخرى إلى حيث التجمهر، هناك لم يجد أحياء، بل بقايا أحياء، وفيما هو يسير جذبت انتباهه جثة شخص يرتدي قناعاً أبيض متسخاً ومكسوراً. اقترب من الجثة، وتأكد من أن الحياة فارقت صاحبها، وأخذ يحاول أن يبحث عن أي إثبات لشخصية لابس القناع، لكنه لم يجد... وفكر في الابتعاد، لكن شيئا ما دفعه إلى أن يخلع القناع عن الوجه الميت ليجد تحت القناع وجهاً دامياً بلا ملامح مميزة، فهز القناع عدة مرات في الهواء وكأنه يريد تجفيفه من الدماء، ولسبب لم يدركه قرر أن يحتفظ بالقناع.

لم يكن يكترث للثورة ولا للثوار، وحتى زيارته للميدان كانت من قبيل الفضول، وحين عاد إلى منزله، ألقى بالقناع على منضدة صغيرة بجوار الباب، وذهب للاستحمام، واستطاعت المياه الساخنة أن تمحي من ذاكرته كم الدماء والأشلاء، التي رآها في ذلك اليوم، وكذلك نسى القناع، حتى كان في طريقه للخروج من منزله للذهاب إلى العمل في اليوم التالي.

بدافع الفضول أيضاً وضع القناع على وجهه ليشاهد كيف ستتحول هيأته في المرآة، لكن ما حدث لم يكن تغييراً في هيئته فحسب.

سرت في جسده قشعريرة حين لامس القناع وجهه، وأمام عينيه مرت ذكريات كثيرة من مشاهد متفرقة باهتة حزينة، ومؤلمة، وشعر بكآبة غريبة تسيطر عليه، وحين خلع القناع، ألقى بنفسه على كرسي قريب، ولأول مرة يراجع تفاصيل حياته بعين قاض عادل، وإذ به يجد نفسه مجرماً حقيراً في ميزان ضميره.

لم يكن القناع يمتلك أي قوة، لكن بطريقة ما كان سبباً في تغيير أسامة إلى الأبد.
وتذكر، فيما تذكر، حادث فرح، الذي تستر عليه، وطلب لينا منه، وهكذا تطرقت إلى رأسه فكرة الانتقام، ليست تلك الفكرة المشوهة عن الانتقام في الدراما، وإنما انتقاماً من فلسفة أخرى تهدف إلى تحقيق العدل حال غاب القانون، وأصبحت السلطة مجرد مركز.
من هنا كانت البداية.
والحق أن الأمر تعدى فكرة الانتقام، وفلسفة تغيير الأوضاع، إلى مرحلة أعمق أدرك فيها أسامة جانباً غامضاً من شخصيته، جانباً شيقاً دفعه إلى إعادة صياغة مفاهيمه عن الحياة والسعادة، وكذلك اللذة.

-91-

## اليوم الثامن عشر

لأن ما حدث لأسامة كان بمثابة لطمة على قفا كل شرطي تحول أغلب الضباط والعساكر إلى وحوش تتلمس ضحايا لها، مما زاد من التوتر بين المواطنين وأفراد الشرطة، فتضاعف عدد الاشتباكات، التي تم حل الكثير منها بإطلاق أعيرة نارية على مواطنين عزل، هكذا وصل التوتر في الشارع إلى أشده، وفي مساء هذا اليوم، تم إصدار أمر بحظر التجول بداية من الساعة الخامسة مساء إلى الخامسة فجراً.

أما السيد وزير الداخلية، فتفضل بزيارة أسامة في المستشفى، وشد من إزره في زيارة استغرقت خمس دقائق تقريباً، ونتجت عنها عدة مئات من الصور تم توزيعها على الصحف، وكذلك على اللجان الإلكترونية.

-92-

**اليوم التاسع عشر**

تم تحدي حظر التجوال من قبل مجموعة من الشباب ارتدوا أقنعة بيضاء – لم تكن تشبه بالضبط قناع دهار– وتم التعامل معهم بإطلاق النار، وتم القبض على عدد منهم، وأظهرت التحقيقات أنهم لا ينتمون إلى أي تيار سياسي.

-93-

**اليوم العشرون**

قرب منتصف النهار، خرجت أعداد غفيرة طالبةً العقاب لأفراد الشرطة، الذين استعملوا في البارحة الرصاص الحي ضد متظاهرين عزل، متجاهلين أن قانون حظر التجوال يبيح إطلاق النار على أي شخص يخرق هذا الحظر، لكن في هذا اليوم لم تقم الشرطة بأي تصد لهؤلاء المتظاهرين، عدا تنبيههم من خلال مكبرات الصوت بأن عليهم إخلاء الشوارع قبل موعد حظر التجوال.

أما الإعلام، فاتفق كلا من مؤيدي النظام ومعارضيه– وكثيراً ما يتفقون– أن دهار هو لعنة أصابت المجتمع، وأن على الشعب الواعي ألا ينجرف خلف الأيدي والأصابع، التي تهدف لتدمير المجتمع من أساسه، مع مقارنة وضع مصر بوضع الدول المجاورة لها، وأبدوا قلقهم على السياحة، وكذلك على عجلة الإنتاج.

من ناحية أخرى أصر أسامة على مغادرة المستشفى بحجة أن عليه أن يقوم بواجبه كضابط في مواجهة حالة الشغب، التي ظهر فجرها قوياً في الأفق، ولأن حالته لم تكن خطرة سمح له بالخروج على أن يقوم بزيارة الطبيب للتغيير على الجروح والكشف.

قام أحد زملاء أسامة بتوصيله إلى منزله، وهناك توجه بشغف نحو جهاز Laptop محصن ضد الاختراق لكي يكشف سر بطاقات الذاكرة، التي وجدها في قطعة الشطرنج الملكية السوداء، وكان محتواها يفوق كل توقعات أسامة.

أدرك أسامة أن اللورد منحه القطعة الرابحة، وأن عليه أن يعدل خطته الأساسية كي يتمكن من استخدامها بطريقة صحيحة.

-94-
كان أسامة مايزال يعاني من أثر السياط على ظهره، مما سبب له انحناءة بسيطة، لكن كان عليه أن يتحمل ذلك الألم، وينتصب استعداداً لاستكمال مخططه المعدل. لم يكن معه سيارة، إذ كانت سيارته في مرأب مخبأة، وعموماً كان عليه أن يطمئن بأنه ليس تحت المراقبة، وكان هذا أمراً هيناً بالنسبة لشخص لديه خبرته في أساليب الشرطة.
خرج من منزله وسار وكأنه في طريقه لشراء بعض الحاجيات من متجر قريب، وبالفعل قام بشراء بعض الأشياء، وعاد إلى منزله، وتأكد من أنه ليس متعقباً. هكذا خرج من منزله مرة أخرى إلى مرأب موجود أسفل العمارة، التي يقطن بها، وما هى إلا دقائق، وخرج من هذا المرأب على متن دراجة نارية من ماركة Harley Davidson وارتدى خوذة سوداء عليها رسم جمجمة، وجاكت جلدي أسود يحمل نفس علامة الدراجة الشهيرة على ظهره، في طريقه إلى المخبأ.
كان الليل قد فرد جناحه على السماء، بينما دراجة أسامة ترسل شعاعاً من النور يخترق الظلام، حتى وصل إلى مقر دهار.
هناك أوقف الدراجة بجوار سيارته، وارتدى قناعاً أبيض، ثم توجه إلى الفيلا.
حين فتح الباب توقع أن يجد لينا تقفز في حضنه، وكان قد قرر ألا يصدها هذه المرة، لكن ما رآه كان بعيداً عما تخيله.

-95-

كان معالي وزير الداخلية في مكتبه يتابع عبر شاشة عملاقة مجريات الأمور، وغمرته حالة من النشوة، وهو يتابع نجاح خطته، التي اقترحها على القيادة السياسية، والتي تقضي بعدم التعرض إلى المتظاهرين، بل على العكس تماماً، ففي الخامسة مساءً فوجئ المتظاهرون– لم يكن عددهم يتعدى مئات قليلة– بعساكر من الشرطة يحملون إليهم عِلب تحوي وجبات ساخنة! تلقى المتظاهرون تلك المبادرة الغريبة بقلق في بادئ الأمر، لكن سرعان ما تقبلوا الأمر، بالأخص بعد أن وقف أحد العساكر من ذوي المظهر الريفي الطيب أمامهم،وقال لهم بلهجة بريئة:

- والنبي ما ترموا حجارة، احنا غلابة صدقوني، وبننفذ أوامر، أنا نفسي أرجع من الخدمة لأمي سليم.

كانت كلماته، بالرغم من عفويتها، تحمل صدقاً داعب قلوب المتظاهرين، وتقدم بعضهم لمعانقته، وهكذا جلس المتظاهرون مع عساكر الشرطة يأكلون ويتسامرون، وكأنهم أصدقاء قدامى! وأغرقت صور ذلك العسكري مواقع التواصل الاجتماعي، وحاز بكلماته البسيطة شهرة واسعة.

وحين اطمأن معاليه على المظهر العام، أعطى توجيهاته للجانه الإلكترونية بتعظيم ما حدث، والتأكيد على أن الشرطة موجودة فقط لحماية المواطن والسهر على راحته، بل إنه أثنى في حديث صحفي مقتضب على الالتحام بين الشرطة والشعب،بالرغم من استعمال الشرطة في اليوم السابق

للخرطوش والرصاص، إلا أن الشعب المعروف بعواطفه تجاهل العنف السابق.
كان الوزير يهدف من هذا إلى تأمين موقفه في حالة تحول الموضوع من مجرد مظاهرات خفيفة إلى تصعيد لا يحمد عقباه خائفاً منأن يكون مصيره ترينينج أزرق في مزرعة طرة في نهاية الأمر.

-96-

وقف دهار بذهول، وأمامه اللورد بابتسامة كبيرة:

- لينا شرسة أوي، معلش اضطريت أربطها لغاية ماتيجي!

وأشار بيده إلى لينا المقيدة بأصفاد، وكمم فمها بقطعة قماش، ثم أكمل، وهو يتوجه مع دهار إلى لينا ليفك قيدها:

- أنا عندي ليك هدية في شنطة العربية... ماتقلقش.

ألقت لينا بنفسها في أحضان دهار، فأحاطها بيديه، وخلع قناعه، وقبّل جبينها، فقاطع اللورد تلك اللحظة الرومانسية بسعلة:

- مش وقت ده دلوقتي.

تساءلت لينا بعينيها،مشيرة إلى اللورد:

- ايه اللي جابه هنا؟

رد أسامة:

- جه يساعدنا يا لينا.

تدخل اللورد مادًا يده للينا:

- أنا آسف لينا هانم، بس انتي ما اديتينيش فرصة أشرحلك.

سلمت عليه لينا بفتور، فطلب اللورد منهما بإشارة من يده أن يرافقاه.

سارا خلف اللورد بخطوة، حتى خرجوا من الفيلا، ثم داروا حولها، حتى وصلا إلى سيارة اللورد، هناك فتح شنطة سيارته، وبطريقة مسرحية:

- هديتي!

في شنطة السيارة كان شهاب مقيداً، فتساءل أسامة، وهو يشير إلى جسد شهاب، الذي ينتفض:

- ايه اللي جابه هنا؟
- تخيلت إنك هاتحتاج تخطفه، فقولت أسهل الموضوع عليك.

***

تم إيداع شهاب مقيداً داخل الغرفة البيضاء، ليس بغرض تعذيبه، وإنما لأن وجوده في هذا الوقت لم يكن مخططاً له،أما لينا فالتزمت الصمت، واكتفت برمق اللورد بنظرات متوترة يشوبها بعض الجنون، لكن الأخير لم يعرها انتباهاً، وجلس ثلاثتهما حول طاولة في باحة الفيلا، حيث ساد الصمت لحظات، حتى التقط أسامة القناع من على الطاولة ولبسه ببطء, وكان حين يلبس القناع يتغير صوته بسبب ضيق فتحات القناع:

- انت مش خايف؟

كان قد مال بالقناع ناحية اللورد بما يشبه التحدي، فأجابه بأريحية:

- انت اللي لازم تخاف، Fear the man who has nothing to lose...
- انت عندك اللي تخسره، حياتك مثلاً.

ضحك اللورد ضحكة قصيرة انتهت بسعلة:

- أنا كبرت، الحياة بتفقد معناها كل ما الواحد بيكبر.
- حب البقاء أقوى غريزة.
- أنا مش حيوان يا أسامة.

- انت عارف انا مش بضرب واحد طلقة أو بقتله بضربة سكينة، تقدر تستحمل؟
- انت قولت إن عذاب الضمير أعنف من كل ده... ده اللي جابني هنا... أنا جاهز.

***

لاحقاً في هذه الليلة تناول الثلاثة طعام العشاء كعائلة واحدة، عشاء صامت اختتمه اللورد بأسى:

- للأسف كل ده لازم يخلص بأسرع ما يمكن، مش هاقدر أتوّه التحقيقات أكتر من كده.

-97-

**اليوم الحادي والعشرون**

قبيل المساء، بث دهار فيديو جديدا:

كان دهار جالساً بثيابه المعتادة خلف مكتبه.

في هذا الفيديو لم يبدأ بالضحكات المعتادة:

" السيدات والسادة،

في الفترة اللي فاتت كنت بشارككُم محاولتي لتطبيق القانون، أنا تعمدت أشارككُم التفاصيل عشان كنت عايز أوصل رسالة معينة، وهيإن سهل جداً إن أي حد يعمل اللي انا عملته، سهل جداً نقلب حياة الناس اللي فاكرة نفسها فوق القانون... أسهل مما تتخيلوا.

وشوفت ناس استجابت، وناس قررت تعبر عن نفسها، وكمان ناس رفضت."

وصمت لحظة، ثم أكمل:

" المهم اني وصّلت وجهة نظري، ودلوقتي باطلب منكم كلكم تستعدوا، أنا قررت أحط الحكم في آخر مرحلة في إيديكم انتم".

اختفى دهار، وظهرت الشاشة مقسومة إلى قسمين، قسم فيه وجه سوزان وظهرت عليه إمارات الرعب، وفمها مكمم، أما القسم الآخر، فكان فيه شهاب مكمماً أيضاً، لكن على وجهه نظرات تائهة.

ثم عاد دهار مرة أخرى:

"سوزان قتلت مرتين، قتلت فرح بجرعة زايدة، واتهربت من القانون، وقتلت سامح نجم بالرصاص، وطبعاً القانون كان في صفها بحجة الدفاع الشرعي عن النفس، أما شهاب جوزها،

فكان عايز يقتلها، الحقيقة أنا كنت عارف إن شهاب عنده مشاكل مادية، وعرضت عليه أخلصه من سوزان مقابل مبلغ، كنت بخدعه عشان يساعدني، هو استجاب، ووصلت بيه الحقارة إنه حط ابنه في كيس زبالة أسود عشان يخوّف سوزان، ويخليها تنتحر، دلوقتي الاختيار ليكم، الحكم يكون على سوزان، ولّا على شهاب ولّا على الاتنين. دلوقتي هيظهرلكم Link خشوا عليه بكرة، وهيبقى عندكم اختيار من تلاتة، هتقدروا كمان تشوفوا اللي هيحصل في بث حي. مدة التصويت هتكون نص ساعة من أول ما يتفتح".
انتهى الفيديو بشاشة سوداء فقط.

-98-

بعد عرض الفيديو بنصف ساعة، كانت قاعة الاجتماعات الملحقة بمكتب سيادة وزير الداخلية تحوّلت إلى غرفة طوارئ لإدارة الأزمة، وازدحمت بأعلى الرتب في انتظار وزير الداخلية، الذي أيقظوه من نومه، بعد بث الفيديو، فلعن الشرطة والوزارة والحكومة، ودهار، وهو يقفز بجسده الممتلئ داخل بذته الرمادية، ويربط رابطة عنقه، التي انفجرت من خلفها رقبته، التي كادت تختنق من فرط بدانته.

كان أول ما سأل سيادة الوزير عنه هو اللورد حسام تاج، الذي اختفى منذ البارحة، ولم يظهر له أثر، فتمتم سيادته بكلمات غير مفهومة، ثم انفجر في الحضور:

- يعني ايه الكلام الفاضي ده، ازاي مش عارفين تجيبوه؟ فين مباحث النت؟ فين اللي عاملينلي نفسهم هاكرز؟ وبعدين فين الظابط اللي اسمه أسامة، أنا مش قولت انه يحضر.

ساد الصمت، فيما الوزير يجيل بنظره في الموجودين:

- ما تردوا!

رد أحد اللواءات، بصوت مبحوح:

- الرائد أسامة اختفى هوّ كمان.

صرخ الوزير، وهو يخبط على منضدة الاجتماعات بكلتا يديه:

- اختفى يعني إيه؟ فين المراقبة؟ انتم نايمين على وادنكم يا بشوات.

حاول بعض اللواءات تبرير ما يحدث، لكن الوزير قام من مجلسه، وصرخ، وكوّر يمناه، وأخذ يهزها بعنف:

- قبل ما الـlink اللي قال عليه ده يشتغل لازم يكون قدامي، وإلا هحولكم كلكم لمحاكمة عسكرية فاهمين ولّا لأ؟ أنا الوزير!

***

هكذا حوّل اللواءات أوامر الوزير إلى الرتب الأدنى، وكانت الاستجابة واضحة جلية، فلأول مرة منذ سنوات تنتظم دوريات النجدة في الشوارع الخالية أصلاً بسبب حظر التجوال، أما الأكمنة فأخذت أماكنها، أما في مقرات المباحث، وجهاز الأمن الوطني، فعكف أكفأ الـHackers على تتبع المكان، الذي يبث منه دهار، لكن الأمر بدا مستحيلاً، وحاولوا أن يعطلوا الـlink الذي ظهر في الفيديو الأخير، لكن باءت محاولاتهم بالفشل.

-99-

**اليوم الثاني والعشرون**

لم يأبه أغلب الناس بالتحذيرات، التي بثتها الحكومة، سواء عن طريق البرامج التليفزيونية أو الصحف المطبوعة أو الإلكترونية من الدخول على الرابط، الذي نشره دهار بحجة احتوائه على فيروسات قد تدمر الأجهزة، وتسرق الملفات المهمة، وكذلك كلمات السر، وكان التعليق الشهير هو "الشعب المصري حقق أعلى نسبة للدخول على المواقع الإباحية، هل سيخاف من مجرد رابط؟ الكومبيوترات المصرية لديها مناعة!"

هكذا أخذ الملايين يزورون الرابط، بلا انقطاع حتى الساعة الثانية ظهراً، في هذه الساعة ظهرت شاشة بث مباشر:

كان كلا من سوزان وشهاب يجلسان متقابلان، وتم ربط شهاب إلى كرسي بالطريقة نفسها المربوطة بها سوزان. كان جسداهما ينتفضان في محاولة بائسة للفرار.

وتحت الشاشة كان العنوان: "في فم كل منهما قنبلة، وكذلك هناك قنبلة في مؤخرة كل منهما، الخيار لكم: إما تفجير سوزان أو شهاب أو كليهما، من فضلك اختر".

أما الاختيارات، فكانت:

1- سوزان
2- شهاب
3- سوزان وشهاب

وتحت الاختيارات مؤشر يظهر نسبة التصويت.

الغريب هو أنه حين يتم الضغط على أي من الخيارات الثلاثة يتم تنزيل ملف Torrent، ولأن هذا النوع من الملفات صغير جداً، فكان مغرياً لكثيرين ألا يقوموا بالغاء تنزيله، لكن فقط من يعلمون فائدة الـTorrent قاموا باستعماله لتنزيل الملفات، الذي يحويها، والتي تعدت المائتي Gega.
لكن الـTorrent يتيح اختيار الملفات المراد تنزيلها مما سهل على المستخدمين انتقاء الملفات صغيرة الحجم لإشباع فضولهم، وكانت المفاجأة هى احتواء تلك الملفات على تسريبات تمس العديد من الشخصيات العامة، وحوت وثائق وتسجيلات صوتية وفيديوهات وصور.
في خلال ساعة تقريباً كان غالبية الناس نسوا تماماً أمر التصويت، وأخذوا يتابعون الملفات المثيرة، التي أخذت تنتشر بسرعة رهيبة، حتى تم قطع الإنترنت عن كل المستخدمين.
ربما ساهم قطع الإنترنت في إيقاف انتشار الملفات داخل القطر المصري، لكن لم يمنع تنزيلها حول العالم.

***

في السادسة والثلث من مساء هذا اليوم، سمع بعض سكان السادس من أكتوبر صوت انفجار رهيب، فتوجهت الشرطة إلى موقع الحدث، الذي كان فيلا دهار، هناك وجدوا وسط الأنقاض ثلاث جثث، جثة امرأة دمر وجهها من أثر انفجار قنبلة في فمها، وكذلك تبعثر جزء كبير من جسدها جراء انفجار قنبلة أخرى صغيرة في مؤخرتها، وكانت هناك جثة لرجل في الحالة نفسها تقريباً، وقريباً منهم وجدت جثة لشخص مُقنّع بقناع دهار وعلى الأغلب هو دهار نفسه.

لاحقاً سيتم الكشف عن صاحب القناع، وهو العقيد حسام تاج، لكن لن يعلم أحد بأن اللورد قرر أن يرتدي القناع بكامل إرادته، ويقوم بتفجير الفيلا بعد أن يفجر كلاً من شهاب وسوزان اللذين كان موتهما مقرراً بغض النظر عن نتيجة التصويت المزعوم، والذي لم يكن سوى خدعة بارعة لتنزيل ملف الـTorrent لملايين المستخدمين.

-100-

حين وصلت تلك الملفات إلى عوام الناس، لم يكن أمامهم سوى النزول إلى الشارع، لم يكن لديهم هدف واضح، لكن سيطر عليهم شعورًا مشتركاً على اختلاف توجهاتهم، وهو أنهم كانوا جميعاً عرضة للخديعة أغلب سنين عمرهم، وبالرغم من حظر التجوال المزعوم إلا أن أحداً لم يكن لديه الجرأة للتصدي للملايين، الذين ملأوا الشوارع.

***

لاحقاً، أمرت القيادة السياسية بإعادة الإنترنت، وظهر رئيس الحكومة– لم يكن أي من الملفات يدينه– في بيان عاجل تم بثه على كل القنوات التليفزيونية يعلن فيه أنه سيتم القبض على كل الشخصيات– وكانت الشرطة بدأت بالفعل في القبض عليهم- التي أدانتها تلك الملفات مع التأكيد على أن القانون سيأخذ مجراه.

-101-

**بعد عدة شهور**

كان شاباً مفتول العضلات، لديه وشم على شكل جرح أعلى حاجبه الأيمن، يسير ممسكاً يد فتاة جميلةترتدي فستاناً أبيض في أحد أزقة باريس، وتوقفا أمام منزل قديم لحظة استدار فيها الشاب إلى الفتاة:

- لولا الشاب اللي هنقابله دلوقتي ماكنتش هقدر أعمل أي حاجة!

نظرت إليه لينا بدهشة:

- ازاي يعني؟

أجاب أسامة:

- ده صديق ليا من أقوى الهاكرز في العالم، لولاه كنت هاتمسك من أول فيديو.

**تمت**

الجيزة 1 أكتوبر 2015

**نبيل نزيه**

**ملحوظات:**

1- الغرفة البيضاء:معروف أيضاًبالعذاب الأبيض، هو نوع من أنواع التعذيب النفسي، ويتضمن وحشية في الحرمان الحسي، ويحمل هذا النوع من التعذيب المعتقل إلى فقدان هويته الشخصية وانخفاض إنتاجه البشري من خلال فترات طويلة من العزلة، وفي إيران يدعى هذا النوع من التعذيب (شكنجه سفيد)، وهو يمارس على السجناء السياسيين، ومعظم السجناء السياسيين، الذين يتعرضون لهذا النوع من التعذيب هم الصحفيون، والمحتجزون في سجن إيفينK والذي فيه لا تحتاج عمليات التعذيب بالضرورة إلى إذن مباشر من قبل الحكومة الإيرانية، ويجري فيه التعذيب الأبيض لفترات طويلة من خلال الحبس الانفرادي، خارج نطاق سيطرة سلطات السجن، ويشتهر به القسم 209. وفي تقرير منظمة العفو الدولية سنة 2004 كانت هناك أدلة موثقة تخص "التعذيب الأبيض"، الذي وقع على أمير عباس فخر آور، وذلك من قبل الحرس الثوري. وفقا للتقرير، الذي كان صدى أول مثال معروف للتعذيب الأبيض في إيرا، واستخدم أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي فنزويلا، وكذلك في أيرلندا من قبل الجيش البريطاني.

2- قطع الشرايين بالطول: حين يتم قطع شرايين الرسغ بالطول، تزيد مساحة الجرح مما يزيد من معدل تدفق الدماء، فيسرع عملية الانتحار.

3- الأغنيه هىToy Master لفريق ألماني يدعى Avntasia، وهي أغنية أقل ما توصف به كلماتها وموسيقاها بأنها مزعجة...

4- أغنية Hotel California لفريق Eagles: تعتبر أغنية رومانسية، لكن في رأيي الشخصي أنها تحوي معاني غامضة بالأخص في عبارة " you can check-out any time you like but you can never leave..."

5- استخدمت الكهرباء في التعذيب،وكذلك في الإعدام، واستخدم الكرسي الكهربائي للإعدام لأول مرة في عام 1890، أما الضرر فينتج من التيار، وليس من الفولت، والتعذيب باستخدام الكهرباء شائع في كل أنحاء العالم في السجون والمعتقلات.

6- جرح الضحية: يعتبر من الطرق، التي استخدمت في التعذيب منذ فجر التاريخ، وهناك أسلوب في الصين يدعي Lingchi مبني على جرح الضحية ألف جرح قبل أن تموت.

7- سوط الـcat o' nine tails: من أشهر السياط المستخدمة، ولأنه عبارة عن تسعة سياط، فهو يسبب تسعة جروح متوازية مع كل ضربة، واستخدم في إنزال العقاب في البحرية العسكرية،

وذاع استخدامه في جيوش نابليون بونابرت، وكذلك لتأديب العبيد، وكذلك في الجيش البريطاني، وكان يستخدم أيضاً في تأديب الصبية، وكذلك استخدم في السجون المصرية حتى عام 2001. أما السوط نفسه فقد يكون من الجلد أو من الحبل حسب شدة العقاب.

أخيراً اقترب منها ذلك الشبح، وكان أول ما وقع عليه عيناها هو وجهه، لم يكن وجهاً بل قناعاً أبيضاً حزين بوجه يميل إلى الاستطالة، عيناه مختفيتان خلف عينا القناع السوداوين، لكن مع مزيد من التركيز، كان القناع غير نظيف، وكأنه قديم، وهو مكسور من أعلى الحاجب الأيمن وحتى أسفل العين اليمنى، لكنه ملحوم بسلوك حديدية مرشوشة أيضاً باللون الأبيض لكنها بارزة، أما العين اليمنى فقد رسم تحتها ما يشبه دمعة بلون أحمر داكن، أما فمه فرغم أنه يوحي بالحزن إلا أن ابتسامة غامضة مرعبة كانت مرسومة خلف هذا الحزن. وقد كان جسد ذلك الشبح - إذا صح أن ندعوه شبحاً - مكسواً من أعلى رأسه وحتى قدميه بقماشاً ابيضاً فضفاضاً، لكنه كان أيضاً متسخاً بشكل ملحوظ، وفي يديه قفازاً قماشياً أبيضاً أيضاً.

---

**عن المؤلف:**

نبيل نزيه حبيب

من مواليد القاهرة عام 1984،
تخرج من مدرسة دي لا سال
الفرير بالظاهر، ثم حصل على
بكالوريوس هندسة الطيران
والفضاء من جامعة القاهرة.
وصدرت له ثلاث روايات:

- سقوط حر، دار ميريت للنشر 2013
- رحلة إلى سوق الجواري، دار ميريت للنشر 2013
- العذراء الحديدية، دار ميريت للنشر 2015

ميريت

تصميم الغلاف : محمد ناجي الشناوي